بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عجزت عن إدراك كُنهه نهايةُ العقول، ووَقَفت دون مواقف جَبروته ماهية كل محسوس ومعقول، فَيَا من كانت هدايته أعلى المطالب العالية، وعنايته أَولى المقاصد الكمالية. صَلِّ على شمس مطالع[1] النبوة والعرفان، ونور سِر المحبة في طوالع بُروج[2] الرسالة والإحسان، سيد الكل حضرت سيدنا ومولانا محمد أفضل الرسل وعلى آله الواصلين بنهاية إقدام أفكارهم إلى أسرار الكاملين المتراقين بانوار الهداية إلى آثار حكمة عين اليقين.

أما بعدُ[3]، فالواجب علينا دعاءٌ بسلطان المسلمين، خليفةِ[4] الله في العالم والأرَضين، خادمِ الحرمين الشريفَين، سلطانِ البرَين والبحرَين، السلطان ابن السلطان ابن السلطان، السلطان الأعظم عبد الحميد خان بن السلطان أحمد خان ابن السلطان محمد خان، خلّد الله عز وجل خلافته إلى انتهاء الزمان ونهاية الدوران[5]. اللهم اجعل ذاته العلية[6] وذريته الطيبة والفروع الزكية ثابتةً في أوج دوام الأمن

---

[1] د + أفق

[2] د + سماء

[3] د + هذ

[4] د : ظل

[5] د - ونهاية الدوران

[6] د – ذاته العلية

والعافية[7]، محفوفة بِهالَة طول العمر والعافية. واجعل اللهم توفيقك رفيقا له أولاً، ولوزيره الأعظم ولشيخ الإسلام الأكرم[8] ثانيا، ولسائر العلماء الأعلام، والأمراءِ أولي الأفهام.

[9]يقول العبد الفقير إلى الباري محمد طاهر ابن السيد الشيخ محمد لاله زاري، كان الله لهماولمن كان لهما: لمّا أردت مذاكرة المنظومة في العقائد الموسومة ب"النونية" لبعض الإخوان، وقد نظَمها مولانا المدقق الكامل، والمحقق الفاضل[10]، سمّي من قال فيه سبحانه " آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما"[11] فلِسَمِيّهِ المتحقق[12] بالكمال نسبة من هذه الخصال بحكم الوراثة الثابتة بحديث من أوتي بجوامع الكَلِم والحِكَم صلى الله عليه وسلم " العلماء ورثة الأنبياء".

---

[7] ح، د : الصحة

[8] نظرا إلى تاريخ التأليف الأول لهذا الشرح ـ وهو ١١٩٤ هـ ـ كان محمد شريف أفندي بن الشيخ محمد أسعد أفندي في مشيخة الإسلام. وهو عُيَنَ لمنصب مشيخة الإسلام في تاريخ ١١٩٢ وبقي في منصبه أربع سنوات لينفصل عن منصبه في سنة ١١٩٦. ثم عين جديدا لمشيخة الإسلام بعد سبع سنين من انفصاله من الوظيفة الألى ولكن عُزِلَ عن هذه الوظيفة الثانية بسبب العَتَاهَة بعد شهرين من تعيينه للمشيخة. وتوفي بعد شهر أو شهرين من عزله عن المشيخة. انظر، **مشايخ الإسلام العثمانيون**، سرحد باشار، منشورات مركز الثقافة التابعة لبلدية إسطنبول الكبيرة، ٢٠١٧، ص. ١٥٧.

[9] ح + ثم ، د : وبعد ذلك

[10] وهو خضر بن جلال الدين بن أحمد، المولى الرومي الحنفي: أول من ولي قضاء القنسطنطينية بعد فتحها. ولد ونشأ في بلدة سيوري حصار وعلت شهرته فاستدعاه السلطان محمد الفاتح ابن مراد الى بروسة، وأعطاه مدرسة جده فيها. ولما دخل القسطنطينية ولاه قضاءها. وكان غزير الاطلاع على آداب العربية والتركية والفارسية، ونظم شعرا باللغات الثلاث. ومن شعره العربيّ **جواهر العقائد** وهي قصيدة نونية في التوحيد أرسلها الى السلطان مع بيتين ثانيهما: (ألا يا أيها السلطان نظمي، عجالة ليلة أو ليلتين) فسميت **عجالة ليلتين** وله قصيدة أخرى على رويها. وصنف كتبا، منها **حواش على حاشية الكشاف للتفتازاني**، و **أرجوزة في العروض** انظر، خير الدين بن محمود الزركلي، الأعلام، م ٢، ص ٣٠٦.

[11] سورة الكهف، ٦٥

[12] ح: المحقق

ويشهد بتحقق[١٣] كمال الناظم من أمعن في هذه المنظومة بلا تعصب و لاعناد، فضلا عن إمعان النظر إلى سائر آثاره في الأمصار والبلاد. بَعَثني شوق المطالعة إلى تحرير بعض من[١٤] الكلام؛ ليكون ذلك خدمةً لنظمه الأَكِيس وتنشيطا للتقرير، وسميت هذا **بالجواهر القلمية في تسطير الأسرار النونية الكلامية**.

[١٥]إني لم أذكر في هذا التحرير شيأً من شرح لغات المنظومة، ولا كشفا من عروض بحرها، ولا ما يتعلق بها من المجاز والاستعارات، ولا من الإعراب والاشتقاق، ولا تفصيل كل مسئلة بإيراد أدلتها وذكر مخالفيها لإغناء الشروح عن جميع ذلك سيما شرح الشيخ العُرياني[١٦] شَكر الله سعيه. وإنما ذكرت في هذا التحرير بعض النكات والوجوه المتعلقة بمباحث مسائل الأبيات المقتبسة من مشكاة

---

[١٣]ح : بتحقيق

[١٤] ح – من

[١٥] ح، د + ثم ليعلم

[١٦] هو عثمان بن عبد الله العرياني، فاضل حنفي. ولد وتعلم بكليس، وتردد الى حلب، ودرّس بإستانبول، وأقام في المدينة المنورة ثمانية أعوام. وتوفي بها. له عدة كتب احترقت، وبقي منها " **خير القلائد شرح جواهر العقائد لخضر بك**، في التوحيد، و " **شرح قصيدة ابن قضيب البان** و **شرح العوامل** و **زبدة القرى**. انظر، الزركلي، **الأعلام**، م ٤، ص ٢٠٩.

الأنوار للإمام حجة الإسلام الغزالي[17] [18]، وتعديل العلوم لصدر الشريعة[19]، ونهاية العقول للإمام فخرٍ الرازي[20] قدس الله أسرارهم. فها أنا أشرع في المقصود، مستعينا بالله الودود. قال روّحَ الله روحَه:

بسم الله الرحمن الرحيم[21] _الحمد لله عالي الوصف والشان

وليعلم أن الناظم إنما قال "عالي الوصف والشان" ولم يقل عالي[22] الذات مع أن ذاته ووصفه وشأنه عالٍ؛ إذ العُلى من أسمائه الحسنى اكتفاءً بإفادة الجلالة ذلك.

[17]هو الفيلسوف الفقيه الأصولى أبو حامد محمد بن محمد الغزالى الشافعى ولد فى مدينة طوس من أعمال خراسان وتوفى بها تجول فى طلب العلوم الشرعية والعقلية حتى نبغ فيها ثم آثر التصوف وغلب عليه وله اكثر من مائتى كتاب ومقالة ورسالة. من مؤلفاته: **الاقتصاد في الاعتقاد، المنقذ من الضلال، المقصد الأثنى في شرح الأسماء الحسنى، معيار العلم، محك النظر، مقاصد الفلاسفة، تهافت الفلاسفة، منهاج العابدين، الأربعين في أصول الدين**. انظر، **موسوعة الأعلام**، م ١، ص ٤٢٧، أبو الحسن عز الدين ابن الأثير، **اللباب في تهذيب الأنساب**، دار صادر، بيروت، م ٢، ص ٣٧٩.

[18] د : لحجة الإسلام

[19] هو صدر الشريعة الثاني عبيد الله بن مسعود بن تاج الشريعة الأول عبيد الله بن محمود المحبوبي البخاري، من مصنفاته؛ **تعديل العلوم** وشرحه، **تنقيح الأصول**، **شرح الوقاية**، **النقاية مختصر الوقاية** وتوفي عام ٧٤٧. انظر، موسوعة الإسلام لوقف الديانة التركية، م ٣٥، ص ٤٢٧ ـ ٤٣١.

[20] أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الطبرستاني الأصل الرازي المولد، الملقب فخر الدين، المعروف بابن الخطيب، الفقيه الشافعي، فريد عصره ونسيج وحده، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل، له التصانيف المفيدة في فنون عديدة منها تفسير القرآن الكريم(**مفاتيح الغيب**) جمع فيه كل غريب وغريبة، وهو كبير جدا لكنه لم يكمله، و**شرح سورة الفاتحة** في مجلد، ومنها في علم الكلام **المطالب العالية** و**نهاية العقول** و**كتاب الأربعين** و**المحصل**. انظر، ابن خلكان أبو العباس شمس الدين البرمكي الأربيلي، وفيات الأعيان، دار صادر، م ٤، ص ٢٤٨.

[21] د ـ بسم الله الرحمن الرحيم

[22] في الهامش من نسخة د : في أمثال هذا قد يعتبر التذكير وقد يترك لما في " لا هو ولا غيره"

فعُلوُّ الذات الإلهية: عبارة عن كون حقيقته تعالى منزَّهةً عن أن تصل إليها عقول العقلاء كما قال سبحانه {ولا يحيطون به علما} [٢٣]وكما قال الصديق الأكبر رضي الله عنه" العجز عن درك الإدراك إدراك".[٢٤]

وعلو الوصف: عبارة[٢٥] عن كون صفاته أزلية قديمةً، باقيةً أبديةً،

وعلو الشأن: عبارة[٢٦] عن كونه منعوتا بالألوهية والربوبية والمِلكية والكبرياء والعظمةِ.

ويجمع كل هذا العُلوَّ قولُه تعالى {الحمد لله رب العالمين| الرحمن الرحيم/ مالك يوم الدين/ إياك نعبد وإياك نستعين}[٢٧] ثم ليعلم أن علو الحق عز وجل ليس كعلو مرتبة الممكنات[٢٨]؛ لأنه إضافي كعلو المكان بل علو ذاتي بالمعنى الذي سبق. فعُلم أن ذاته وصفاته منزهة عن النقص والنقض وعن الحدوث والتغير[٢٩] لوجوبه الذاتي، وأن أفعاله وأحكامه[٣٠] مُبرَّاة عن السفه والعبث واللهو لحكمته العلية وكماله الذاتي المشار إليه بقول الناظم رحمه الله تعالى

منَزَّه الحكم عن آثار بطلان

---

[٢٣] سورة طه، الآية ١١٠

[٢٤] ذكره التاج في الطبقات الكبرى وعزاه إلى أبي بكر الصديق الأكبر رضي الله عنه. انظر، طبقات الشافعية الكبرى، م ٩، ص ٤٥.

[٢٥] د – عبارة

[٢٦] ح، د – عبارة

[٢٧]سورة الفاتحة، الآيات ٢-٤.

[٢٨] د – الممكنات

[٢٩] د + وعن اشتراك الغير

[٣٠] ح – أحكامه

عن العبث بأن يكلف العبد بما ليس في وسعه وقدرته إن حُمل الحكم على الحكم الشرعي، أو عن الغرض الباعث لفعله بحيث يكون مستكملا من الغير إن حمل الحكم على الفعل الإلهي. والتفصيل مذكور في الكتب المبسوطة والتحقيق في هذه المسئلة ما قله بعض العارفين الوارثين[٣١] من العلماء بالله قدس الله أسرارهم؛ من أنه لمّا كان الحق سبحانه متصِفا في الأزل[٣٢] بالكمال الذاتي والحكمة العلية والجود الإلهي أحب أن يُعرَف بإرادته[٣٣] تكميلا للمراتب بمقتضى جوده وحكمته، ومن جملة المراتب مرتبة الوجود[٣٤] ومرتبة العلم بالله وهي على قسمين؛ قسم كامل أزلا وأبدا وهو وجوده تعالى[٣٥] وعلمه تعالى بذاته وبكمالاته، وقسم غير كامل وهو وجود الخلائق[٣٦] وعلم الخلائق بذاته تعالى وبكمالاته تعالى لعدم[٣٧] الخلائق في الأزل. فخَلَقَ الخلق فعرفوه فكمُلت مرتبة الوجود[٣٨] ومرتبة العلم بالله تعالى.

ثم لمّا كانت المناسَبةُ بين الحق سبحانه والخلق منتفيةً لتجرده تعالى وغنائه الذاتي وتقَدُّسه، وتحيز الخلق وافتقارهم الأصلي وتدَنُّسهم بأحكام الطبائع، اصطفى الله تعالى نورا مقدَّسا له، مناسِبة

---

[٣١] د - الوارثين

[٣٢] د – في الأزل متصفا

[٣٣] د - بإرادته

[٣٤] د – مرتبة الوجود

[٣٥] د – وجوده تعالى

[٣٦] د – وجود الخلائق

[٣٧] د + وجود

[٣٨] د+ مرتبة الوجود

للحق جلّ شأنه من جهة التقدس ومناسبة للخلق من جهة الإمكان. فبواسطته[٣٩] صلى الله عليه وسلم عرفوه سبحانه، فهو صلى الله عليه وسلم أول المخلوقات نورا كما قال صلى الله عليه وسلم: "أول ما خلق الله نوري، وأول الأنبياء اتصافا بالنبوة"[٤٠] كما قال صلى الله عليه وسلم:"كنت نبيا وآدم بين الماء والطين[٤١]"

كما كان آخر الأنبياء عليهم السلام بعثا، وحيث كان صلى الله عليه وسلم أولَ المخلوقات المتفرعة في الوجود على المحبة الإلهية بحكم [٤٢]قوله صلى الله عليه وسلم ناقلا عن الله عز وجل: " كنت كنزا لم أُعرَف فأحببت أن أُعرَف، فخلقتُ الخلقَ فتعرفت إليهم"[٤٣] [٤٤]. اختص ذلك النور بمقام المحبة الإلهية فكان صلى الله عليه وسلم حبيبَ الله. فاستجلاب المحبة الإلهية لا يمكن[٤٥] إلا بتحصيل المناسبة له صلى الله عليه وسلم، وتلك المناسبة لا تحصل إلا بمتابعته صلى الله عليه وسلم. وإلى هذا

---

[٣٩] د : فبواسطته

[٤٠] قال فيه السيوطي: لا يحضرني بهذا اللفظ، **تخريج أحاديث شرح المواقف**، بيروت، دار المعرفة، ت. د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، ١٩٨٦، ص ١٢٣.

٤١ لم نعثر على الحديث بهذا المتن. بل بمتن "كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد" انظر، ابن أبي شيبة، **المصنف**، ت. كمال يوسف الحوث، مكتبة الرشد، م ٧، ص ٣٢٩، رقم الحديث : ٣٦٥٥٣، أبو جعفر الطحاوي، **شرح مشكل الآثار**، ت. شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، م ١٥، ص ٢٣١، رقم الحديث: ٥٩٧٧.

[٤٢] ح: بحكم قوله تعالى القدسي الإلهي عن الله تعالى.

[٤٣] قال فيه الزركشي: قال بعض الحفاظ ليس هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف له إسناد صحيح ولا ضعيف. انظر، **اللآلئ المنثورة**، ت. مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ص. ١٣٦، والسخاوي: لا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف. انظر، **المقاصد الحسنة**، ت. محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، ص. ٥٢١.

[٤٤] د : كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف

[٤٥] ح : يكون

المعنى أشار سبحانه بقوله {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله}[٤٦] وحيث كانت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من أعظم أركان المتابعة الجالبة للمحبة الإلهية كما تعطيك هذه الآية الكريمة {إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما}[٤٧] قال عليه الرحمة والرضوان :

منه الصلاةُ على مُبدى شرائعه　　نبيِّنا المصطفى من نَسل عَدنان

إن أُريد بالشرائع الشريعة التي أتانا بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ فالجمع للتعظيم كما في قوله تعالى " وإذ قالت الملائكة"[٤٨] أو لتنويع الأحكام. فعلى الوجهين المعنى ظاهر، وإن أريد بها شرائع الأنبياء عليهم السلام من آدم عليه السلام إلى نبينا عليه الصلاة والسلام فالجمع على ظاهره بمعناه[٤٩]، والمراد أنه صلى الله عليه وسلم مُظهرٌ لكل[٥٠] شريعة بإظهار القرآن.

أما إظهاره صلى الله عليه وسلم للشرائع المتقدمة فلتصديق القرآن بكل رسول وبما جاؤوا به من الشرائع من عند الله تعالى كما قال **البيضاوي**[٥١] قدس الله سره في تفسير قوله تعالى{وانزلنا إليك

---

[٤٦] سورة آل عمران، رقم الآية : ٣١.

[٤٧] سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

[٤٨] سورة آل عمران، الآية: ٤٥.

[٤٩] ح : بمعنا

[٥٠] د : كل

٥١ عبد الله بن عمر الشيخ الإمام العالم العلامة الحقق المدفق ناصر الدين الشِّيرَازِيّ الْبَيْضَاوِيّ صاحب التصانيف البديعة الْمشهورة مِنْها كتاب الْغايَة القصوى فِي دارية الْفَتوى وَشرح مُخْتَصر ابْن الْحَاجِب فِي الأصول وَكتاب المِنْهَاج

الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب} من جنس الكتب المنزلَة فاللام الأُولى للعهد والثانية للجنس، ومهيمنا عليه ورقيبا عليه و[52]على سائر الكتب يحفظه عن التغير ويشهد لها بالصحة[53] انتهى.

وهذا معنى الإظهار فكان صلى الله عليه وسلم مظهرا للشرائع كلها، وأما كونه صلى الله عليه وسلم مظهرا لشريعته فغنيٌّ عن البيان كما أُشير إليه آنفا[54] [55]. قال روح الله روحه:

والآل[56] والصحْب ثم التابعين لهم ما جادت السحْبُ للمَرعى بتَهْتَانِ

الصلاة على الآل والأصحاب بالانفراد وإن كانت صحيحة من جهة المعنى إلا أن علمائَنا علماءَ أهل السنة لم يصلوا على الآل والأصحاب منفردا فلم يقولوا أبو بكر صلى الله عليه وسلم[57]، عمر عليه الصلاة والسلام[58]، وعلي عليه الصلاة والسلام والحسن والحُسين عليهما السلام؛ بل قالوا

في أصول الْفقه وشَرحه أَيْضا وَشرح الْمُنْتَخب فِي الْأُصول للْإِمَام فَخر الدّين وَكتاب الْإِيضاح فِي أصول الدّين وَشرح الكافية فِي النحو وَشرح الْمطَالع في الْمنطق. انظر، تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ت. د. محمود محمد الطناحي ـ د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، م ٨، ص ١٥٧، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، الوافي بالوفيات، ت. أحمد الأرنؤوط ـ تركي مصطفى، دار إحياء التراث، م ١٧، ص ٢٠٦،

[52] د – و

[53] انظر، ناصر الدين عُمر بن محمد البَيْضاوِي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ت. محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، م ٢، ص ١٢٩.

[54] د – كما أشير إليه آنفا

[55] د + والله يهدي السبيل

[56] في "ح" مكتوب "الأول" ولعل فيه غلط المستنسخ، والصحيح "الآل".

[57] د : عليه الصلاة والسلام

[58] د – الصلاة

: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى صاحبَيه أبي بكر وعمر وعلى آله وصحبه وعلى ذريته وعلى أهل بيته" إلى غير ذلك. وإنما جعلوها كذلك لغُلوِّ الشيعة في ذلك. ثم قال رحمه الله تعالى:

هذي عقائد عبد مذنب جان

المشار إليها بهذه هو المستحضر في الذهن فيكون استعمال هذه فيه مجازا، او المشار إليها المعتقدات المكتوبة على أن يكون الدِّباجَة متأخرةً عن التسويد فيكون حقيقةً لكن يُحتاج في الحمل إلى التكلُّف فتأمل.

يوصى بها كل موصوف بإيمان

إنما قال: "كل موصوف بإيمان" ليكون وصيته شاملة لكل فرقة سواء كانت ناجيةً أو هالكة، مطيعة أو عاصيةً. فالوصية للناجية وصية بالدوام والثبات وتفصيل المُجمَل، والوصية للهالكة وصيةٌ بتحصيل تلك العقائد الحقَّة والتجنُّب عن ضدها، والوصية للمطيعة وصية بدوام اقتران الطاعة بالعقائد الحقة، والوصية للعاصية وصية بالاتصاف بالعقائد الحقة لئلا تقع في الخذلان اعتقادا وعملا؛ إذ ما لا يُدرك كلُّه لا يُترك كلُّه.

فإن قلت: ما ذكرتَه في التوحيد إنما يصح لو كانت الفرق[٥٩] الهالكة مؤمنة كلُّها، كيف وقد كفّر الفقهاء الجبرية وكثيرا من المعتزلة والشيعة والمجسمة والخوارج وغير ذلك؟ يقال في الجواب: الفرق الضالة وإن خالفوا لأهل السنة في بعض المسائل؛ لكنهم لم يخرجوا من حد أهل القبلة ما لم يعتقدوا

[٥٩] د : الفرقة

ما يناقض ضروريات الدين كما نقله **السيد الشريف** قدس الله سره في **شرح المواقف** عن الشيخ **أبي الحسن الأشعري** رضي الله عنه ما نصُّه من " أن الأمة افترقت بعد نبيهم عليه السلام فرقا متباينة ضلَّلَ بعضهم بعضا إلا أن الإسلام يجمعهم ويعمُّهم" انتهى.

وتكفير الفقهاء تكفيرُ تشنيع وتوبيخ لا تكفيرُ تحقيق. وقد نقل مولانا جلال الدين الدوّانيُّ قُدِّس سِرُّه عن أبي القاسم البلخي روّح الله روحَه أنه سُئل أبو القاسم عن تكفير المعتزلة فقال: لا يجوز لأن[٦٠] مرادهم تنزيهُ الحق سبحانه. وسئل عن أهل الجبر فقال: لا يجوز لأن[٦١] مرادهم[٦٢] التنزيه فافهم.[٦٣]

وإنما التزم الوصية لكل موصوف بإيمان اقتداء بقوله تعالى "وتواصوا بالحق وتواصو بالصبر".[٦٤] فإنه كما أن الوصية بالعقائد الحقة وصيةٌ بالحق وهو ظاهر، فكذلك هي وصية بالصبر. فإن الثبات والوقوف عند حد الاستقامة [٦٥]بالتبري عن طرفي الإفراط والتفريط، والتجنُّب عن تبعية الوهم وإغواء الشياطين، شياطينِ الجن و الإنس من أجَلِّ الصبر. ولهذا مدح الحق سبحانه مَن شأنه هذا بقوله{ والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا، وما يَذَّكَّر إلا أولوا الألباب}[٦٦] . وهذا

---

[٦٠] ح : لكون

[٦١] ح، د : لكون

[٦٢] ح + أيضا

[٦٣] في الهامش: ومن أراد تحقيق هذه المسألة فعليه بمطالعة كتاب "فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة" للإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي الطوسي قدس الله سره فإن حقيقة الأمر هناك.

[٦٤] سورة العصر، الآية ٣

[٦٥] د – بالتبرئ عن طرفي الإفراط والتفريط

[٦٦] سورة آل عمران، الآية: ٧.

الصبر لكونه من أعظم المجاهدات يعطيك الهداية منه تعالى إلى سبيله سبحانه. وإلى هذا المعنى أشار سبحانه بقوله {والذين جاهدوا فينا لنَهدينَّهم سُبلَنا}[٦٧] والهادي هو الله تعالى.

أعدَّها ذخر يوم لا ارتياب به مستودَعا عند ذي عدل وإحسان

لا يقالُ[٦٨] الأولى أن يقال: عند ذي لطف وإحسان؛ فإن الثواب ليس باستحقاق العبد عند الأشعريين بل بلطف من الله تعالى. هذا على كون المراد بذي عدل وإحسان هو الحق سبحانه، ونظير هذا الكلام ما قاله الإمام الشافعي رضي عنه تعالى في **حزب الأحزاب**: "{شهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط، لا إله إلا هو العزيز الحكيم} وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي وديعة عند الله تعالى يؤديها إلي يوم القيامة" انتهى[٦٩] ما قاله. لأنا نقول: المراد بذي عدل وإحسان هو الحق عز وجل كما قلت، وقولك ونظير هذا الكلام إلخ صادق ولكن المعنى "مستودعا عند ذي عدل" الذي يعاقب العاصي بعدله، وذي "إحسان" الذي يثيب المطيع بإحسانه. وليس إحسانه تعالى إلا لطف منه تعالى[٧٠]، وفضل منه عز وجل فلا إشكال.

[٦٧] سورة العنكبوت، الآية ٦٩.

[٦٨] د – لا يقال

[٦٩] د + فافهم، وفي الهامش؛ إشارة إلى أنه لفظ الإحسان مما نسعى باللطف. فالمعنى هو مستودعا عند ذي عدل الذي يعاقب التائب بعدله ويثيب التائب بلطفه.

[٧٠] ح – منه تعالى

هذا و[71]قال مولانا الخيالي:[72] " مستودعا عند من جُبل طبعُه على الإنصاف وعَصَم ذهنَه عن الاعتساف ليرشد بها طالب الدين القويم والصراط المستقيم"[73] انتهى فتَبَصَّر. قال الناظم عليه الرحمة:

إلهنا واجب لولاه ما انقطعت   آحاد سلسلة حُفَّت بإمكان

إن قلت معرفة الألوهية لكونها متوقفة على معرفة الربوبية الحاصلة بالنظر في العالم في الآفاق والأنفُس كما نبَّه الله تعالى على ذلك بقوله {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم}[74] الآية. تكون[75] كالمُركَّبة. ومعرفة وجوب الوجود ولعدم[76] توقفها على ذلك تكون كالبسيطة. فإن من عرف كون الذات مقتضية للوجود اقتضاء تاما ضروريا عرف معنى الوجوب الذاتي. فللبيسيط مطلقا مرتبة التقدم على المركَّب، فلم عُنون موضوع المسئلة بالألوهية وجعل المحمول محكوما به بالوجوب؟

يقال في الجواب: ـ أسعدك الله تعالى وإيانا في الدارَيْن ـ أنت في قولك "معرفة الألوهية تتوقف على معرفة الربوبوية وهي على النظر في العالم[77] فتكون كالمركبة، ومعرفة الوجوب كالبسيطة وللبسيط مطلقا مرتبة التقدم على المركب" صدقتَ إلا أنك إن أمعنت في معرفة الألوهية وجدتها قريبةً من فطرة

---

[71] ح - و

[72] أحمد بن موسى الخيالي، شمس الدين: فاضل، كان مدرسا بالمدرسة السلطانية في بروسة ثم في أزنيق. وتوفي بهذه. له كتب منها حاشية على شرح السعد على العقائد النسفية و حواش على أوائل شرح التجريد للطوسي، انظر، الزريكلي، الأعلام، م ١، ص ٢٦٢.

[73] انظر، أحمد بن موسى الخيالي، **شرح القصيدة النونية**، ت. عبد النصير ناتور الهندي، مكتبة وهبة، ص ١٤٧.

[74] سورة فصلت، الآية ٥٣.

[75] د : يكون

[76] ح – و

[77] د – فتكون كالمركبة، ومعرفة الوجوب كالبسيطة وللبسيط مطلقا مرتبة التقدم على المركب

العباد إذ كانت تحصل بالنظر في أنفسنا كما قلتُ. وإليه أشارالحق سبحانه بقوله {ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولُنَّ الله}[٧٨] ويدل على حصولها بالنظر في أنفُسنا قوله صلى الله عليه وسلم: "من عرف نفسَه فقد عرف ربَه"[٧٩]. ومعرفة الوجوب لما كانت وراء طور المحسوسات لكونها من المعقولات، كانت غيرَ قريبة منا فقدم تلك المعرفة أعني القريبة على البعيدة من فطرة العباد فليَتأمَّل.

فإن قيل: فبأي سبب ذَكر الألوهية والوجوب معا؟ ولو اكتفى بالوجوب لَتَم المقصود؟

يقال في الجواب: السبب في ذلك الإشارة إلى دليلين بالحدوث والإمكان؛ فإن الاستدلال بحدوث العالم على[٨٠] المُؤَثِّر [٨١]يعطيك أن علة افتقار العالم إلى المؤثر هي الحدوث وهو يعطيك كون المؤثر صانعا مختارا قادرا لامتناع[٨٢] استناد الحوادث إلى المُوجب، ووجوب استنادها إلى القادر المختار. وذا لا يتحقق على الكمال إلا بأن يكون المؤثر موصوفا بالألوهية، فأدرج الناظم الإشارة إلى الاستدلال بأخذ الحدوث وأخذ الإمكان فجمع الإشارة إليهما بقوله "إلهنا واجب" ثم فرَّق بذكر أخذ الإمكان في الدليل بقوله" لولاه ما انقطعت آحاد سلسلة حُفت بإمكان". وذكر أخذ الحدوث في الدليل بقوله: كذا الحوادث والأركان شاهدة على وجود قديم صانع بانِ فافهم. والمعنى؛ أنه لو لم

[٧٨] سورة العنكبوت، الآية ٦١

[٧٩] انظر، محيي الدين النووي، **المنثورات**، ص ٢٨٦، تقي الدين بن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ت. عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، م ١٦، ص ٣٤٩، إسماعيل بن محمد العجلوني،**كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس** مكتبة القدسي م ٢، ص ٢٦٢.

[٨٠] د : إلى

[٨١] د – يعطيك أن علة افتقار العالم إلى المؤثر هي الحدوث وهو

[٨٢] د : لعدم

يوجد واجب هو إلهنا لزم أن لا ينقطع آحاد سلسلة الموجودات، لكن اللازم باطل[٨٣] فيكون الإله الواجب موجودا.

أما الملازمة فلكونها محفوفة بالإمكان، وأما بطلان اللازم فلجريان برهان التطبيق[٨٤] فيها أو يقال: لو وجدت الممكنات بالعِلِّيَّة أو المَعلوليَّة إلى غيرالنهاية لزم التسلسل وهو محال. فثبت انتهاؤها إلى موجد خارج عن الممكنات، والموجد الخارج عن الممكنات هو الواجب لذاته.

فإن قيل: يجوز أن يكون علتها جزؤها. نقول: فيه نُقِل[٨٥] الكلام إليه [٨٦]فيتسلسل أو يدور.[٨٧] لا يقال يجوز أن يكون علتُها نفسَ المجموع لأنا نقول: إن أريد ب"نفس المجموع" الهيئةُ الاجتماعية

---

[٨٣] د : لكنها منقطعة

[٨٤]هو أن تفرض من المعلول الأخير إلى غير النهاية جملةً، ومما قبله، بواحد مثلًا، إلى غير النهاية، جملة أخرى، ثم تطبق الجملتين، بأن تجعل الأول من الجملة الأولى بإزاء الأول من الجملة الثانية، والثاني بالثاني، وهلم جرًا؛ فإن كان بإزاء كل واحد من الأولى واحد من الثانية، كان الناقص كالزائد؛ وهو محال، وإن لم يكن فقد يوجد في الأولى ما لا يوجد في إزائه شيء في الثانية، فتنقطع الثانية وتتناهى، ويلزم منه تناهي الأولى؛ لأنها لا تزيد على الثانية بقدر متناهٍ، والزائد على المتناهي بقدرٍ متناهٍ يكون متناهيًا بالضرورة. انظر، السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، دار الكتب العلمية، ص ٤٤.

[٨٥] ح، د : ننقل

[٨٦]في الأصل: ويتسلسل با"لواو"، والفاء هنا أصح. والله أعلم.

[٨٧] **التسلسل**: هو ترتيب أمور غير متناهية، وأقسامه أربعة: لأنه لا يخفى؛ إما إن يكون في الآحاد المجتمعة في الوجود، أو لم يكن فيها، كالتسلسل في الحوادث والأول إما أن يكون فيها ترتيب أو لا، والثاني كالتسلسل في النفوس الناطقة، والأول إما أن يكون ذلك الترتيب طبيعيًا كالتسلسل في العلل والمعلولات والصفات والموصفات، أو وضعيًا كالتسلسل في الأجسام، والمستحيل عند الحكيم الأخير دون الأولين.

الدور: هو توقف الشيء على ما يتوقف عليه، ويسمى: **الدور المُصَرَّح**، كما يتوقف "أ" على "ب"، وبالعكس، أو بمراتب، ويسمى: **الدور المُضْمَر**، كما يتوقف"أ" على "ب"، و "ب" على "ج"، و "ج" على "أ". انظر، الجرجاني، **المرجع السابق**، ص ٥٧، ١٠٥.

فعَلى فرض ثبوتها هي متأخرة عن نفس الآحاد، والعلة المؤثرة[88] يجب تقدمها على المعلول. وإن أريد بها نفس الآحاد بحيث لا يشذ منها فرد، فمع كونها محتاجة إلى الممكن لزم كونها علة لنفسه، والمحتاج خصوصا إلى الممكن لا يكون علةً مؤثرة فيها.

فإن قلتَ: لِم لا يجوز أن تكون الطبيعةُ الكليةُ[89] كافيةً في وجود الممكنات غير واصلة إلى حد الوجوب، فليوجد الممكنات بها دون الاحتياج إلى الواجب؟

يقال في الجواب: الطبيعة لو كانت كما ذكرتَ لكانت إما موجودةً في الخارج أو غيرَ موجودة. والثاني باطل إذ لا يكون المؤثر في الوجود إلا موجودا، والأول إما بأن يكون مترجِّح الوجود ترجُّحا تاما[90] لا بأن يكون واجبا[91] أولا. فإن كان الأول يلزم أن يكون جانب العدم مرجوحا، فإذا كان جانب العدم مرجوحا كان ممتنعا، وكلما كان ممتنعا كان جانب الوجود واجبا فثبت المطلوب. هذا خلف. وإن كان الثاني فإما أن يكون مترجح العدم فيكون ممتنعا وهذا خلف أيضا. وأما بمساواة الطرفين طرفِ الوجود [92]والعدم فيكون ممكنا، فتَنَقُّل الكلامُ إليه فيدور أو يتسلسل. وإما بأن يكون واجبا خارجا عن الممكنات فثبت المطلوب؛ إذ الخارج الموجود عن جميع الممكنات هو الواجب ولأن الطبيعة عبارة عن صفة[93] مركوزة في الأجسام حالةٍ فيها وهي مظلمة؛ إذ ليس لها شعور ولاآخِرَ لها في نفسها ولا

---

[88] وقد يعبر عنه **بالعلة الصورية**؛ وعلة الوجود إما أن يوجد منها المعلول، أي يكون مؤثرًا في المعلول موجودًا له، وهي العلة الفاعلية. انظر، المرجع السابق، ص ١٥٤.

[89] **الطبيعة**: عبارة عن القوة السارية في الأجسام بها يصل الجسم إلى كماله الطبيعي.انظر، المرجع السابق، ص ١٤٠.

[90] د : ...إما بأن يكون ممكنا فتنقل الكلام أو بأن يكون واجبا فثبت المطلوب.

[91] من هنا إلى "وأنت إن لم تقتنع بهذا " ليست موجودة في نسخة د

[92] ح + طرف

[93] ح- موجودة

بما يصدر فلا تكون كافيةً في وجود الممكنات. هكذا قال حجة الإسلام الغزَاليُّ قُدس سِرُّه في **مشكاة الأنوار**[٩٤] في رد من زعم من الملاحدة أن سبب العالم الطبعُ فافهم.

وأنت إن لم تقتنع بهذا فعليك بمطالعة كتاب **إثبات الواجب** لمولانا **جلال الدين الدواني** قدس سره :لا يقال فهمنا كل ما تقول لكن بقي لنا شيء آخر وهو؛ أن إثبات الواجب بالدليل العقلي ليس بممدوح. ألا ترى أن الحنفي **القره باغي**[٩٥] [٩٦] كيف وهَّن هذا الطريق في **حاشية إثبات الواجب** حيث قال: " هناك أن البراهين الدالة على إثبات الواجب تدور على هذه المقدمة وهي "أن[٩٧] الشيء ما لم يوجد لم يوجد" وقد علمتَ ما أُورد عليها من الاعتراضات، فالأمر في إثباته بالدليل مشكلٌ ولهذا قال بعض[٩٨] العارفين[٩٩] قدس الله تعالى أسرارهم: مثنوي

پاى استدلاليان جو بين بود   پاى چوبين سحت بى تمكين بود

[٩٤] الغزالي، **مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار**، ت الشيخ عبد العزيز بن عز الدين السيروان، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦، ص ١٧٧.

[٩٥] محمد بن علي القره باغي الرومي، الحنفي (محيي الدين) مفسر، متكلم، توفي بازنيق له **حاشية على تفسير البيضاوي**و **حاشية على الكشاف للزمخشري** في التفسير، **وشرح رسالة الدواني في اثبات الواجب**. انطر، عمر بن رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، مكتبة المثنى، م ١١، ص ٣٥.

[٩٦] د – القره باغي

[٩٧] د : أن الممكن لا رجحان له

[٩٨] د : في الهامش: هو مولانا جلال الدين الرومي ابن السلطان بهاء الدين سلطان العلماء قدس الله سره

[٩٩] محمد بن محمد بن محمد بن حسين بن أحمد بن قاسم بن المسيب بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، المعروف ب"مولانا جلال الدين القُونوي. كان عالمًا بالمذاهب والخلاف وأنواع من العلوم. قصده القطب الشيرازي، وجلس وهو ساكت والجلال لا يكلمه، ثم قام عنه. ومات في خامس جمادى الآخرة، سنة اثنتين وسبعين وستمائة، بعد ما تجرد، وساح، وقال شعرا كثيرا. انظر، قاسم بن قطلوبوغا، تاج التراجم، دار القلم، ص ٢٤٦، عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مر محمد كتب خانه، م ٢، ض ٣٦٧.

انتهى ما قاله الحنفي. إلا أنه يجاب بأن مراد الحنفي ومراد ذلك العارف الرومي قدس الله سرهما بيان [100]انحطاط درجة صاحب علم اليقين عن درجة صاحب عين اليقين[101]. فإن علم اليقين يحصل بالدليل وعين اليقين يحصل بنور يقذفه الحق[102] الرب في قلب العبد فيَرى الحاصل بالدليل لغيره، الحاصل لنفسه بطمأنينة قلبه المنوَّر بذلك النور فهو على نور من ربه. ولعل ذلك من تجلي الاسمَين النورِ والرب. أما الاول فلقوله تعالى {الله نور السماوات والأرض، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة}[103]إلى آخِر الآية. وأما الثاني فلقوله تعالى نقلا عن خليله صلى الله وسلم {رب أرني كيف تحيي الموتي، قال أولم تؤمن، قال بلى ولكن ليطمئن قلبي} الآية.[104] حتي يصير المعلوم[105] بالحجة القطعية معاينا بعين البصيرة[106] المشار إليها بقوله تعالى نقلا عن حبيبه صلى الله عليه وسلم {أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني} ولأن علم اليقين وإن حصل للعباد بالبرهان العقلي لكنه لا يصفوا عن كَدَر الوهم كما قال مولانا الخيالي قدس سره في **حاشية شرح العقائد**:

[100] د : انحطاط

[101] في الأصل: انحطاط درجة صاحب عين اليقين، والصحيح، العبارة الموجودة في نسخة "ح"، والله أعلم.

[102] د – الحق

[103] سورة النور، الآية ٣٥.

[104] سورة البقرة، الآية ٢٦٠.

[105] في الهامش: المراد بالمعلوم؛ كيفية الأحياء.

[106] ح+ البصر

"فلا يأمن صاحبه عن الزيغ[107] فهو كالماشي بالنعل المصنوع من الخشب بخلاف صاحب عين اليقين منا؛ فإنه كالماشي برجله الصحيح بدون الاحتياج إلى الخشب وإن اشتركا في روح المشي"[108] فافهم ذلك والله تعالى أعلم.

ولما بين افتقار العالم إلى الواجب من جهة إمكانه أراد أن يبين افتقاره إلى المحدث القديم[109] من جهة حدوثه فقال روح الله تعالى روحه:

كذا الحوادث والأركان شاهدة   على وجود قديم صانع بان

يعني لا نشك[110] في وجود الحوادث المتغيرة المستحيلة كالأكوان الأربعة، فلا بد لها من محدث قديم صانع بان قادر مختار لحدوثها وإلا لزم[111] التسلسل؛ إذ الحادث لا يستند إلى الموجب وكونه قادرا مختارا يقتضي الاتصاف بالألوهية فافهم.

فإن قيل: لم لا يجوز أن يستند الحادث إلى الموجب القديم بشروط حادثة؟ قلنا: ستطلع على امتناع هذا الاحتمال عند قوله "نفي التسلسل جمعا أو معاقبة[112]". فإن قيل: لم لا يجوز أن يصدر عن الموجب القديم وسط مختار يستند الحوادث إلى ذلك الوسط المختار؟

---

[107] ح : الزلل

[108] انظر، الخيالي، الحاشية على شرح العقائد،

[109] ح، د : + الموجد

[110] ح : أنه لا شك

[111] في الهامش: قوله "وإلا لزم" الخ. دليل لقوله "لا بد من محدث"، وقوله "إذ الحوادث" تعليل لكونه قادرا مختارا.

[112] د : خلق الحوادث

قلنا: ذلك الوسط إما قديم أو حادث. فإن كان قديما، فإما أن يتوقف وجوده على وسط آخر قديمٍ أو لا، فإن توقف يلزم أن لا يكون ما فرضناه وسطا وسطا؛ إذ لا نعني بالوسط إلا ما لا يكون بين الموجب القديم والحادث إلا ذلك الشيء وحده. وإن لم يتوقف يلزم أن يكون[113] ذلك الوسط القديم المفروض موجبا لا مختارا وإلا لوجب أن يكون العقل الأول مختارا لاشتراكِهما في الصدور عن الموجب[114] القديم بلا واسطة. والقول بإيجاب العقل الأول[115] واختيار الوسط المفروض ترجيح بلا مرجح، وتحكُم محض لتساويهما في الأوَّلية والأولوية والوجوب بالغير والإمكان بالذات والصادرية فافهم.

وإن كان ذلك الوسط المفروض حادثا يحتاج إلى وسط مختار آخر فننقل الكلام إليه ويتسلسل وهو محال, وأيضا يلزم أن لا يكون ما فرضناه وسطا وسطا، هذا خُلف. وأيضا نُجيب عن[116] هذا عن رأسه فنقول: تجويز الاتصاف بالصفة الكمالية التي هي الاختيار والقدرة للوسط الممكن الفقير إلى

---

[113] من هنا إلى "ولهذا قال صاحب التجريد" تختلف العبارة في نسخة د وهي " يلزم أن يكون قولهم "لا يصدر من العقل الثاني الأمور المتكثرة والملكات والعنصريات" باطلا. وكذا إثبات العقول العشرة باطلا أيضا؛ فإن الوسط المفروض لا بد وأن يكون له اعتبارات، فباعتبار إمكانه يصدر عنه شيء، وباعتبار وجوبه لغيره يصدر عنه شيء آخر، وباعتبار اختياره شيء آخر، وباعتبار علمه شيء آخر، وباعتبار قدرته شيء آخر، وباعتبار صدور هذه الأشياء أشياء أخر إلى غير ذلك وهذا خلاف مذهبهم. وإن كان ذلك الوسط المفروض المختار حادثا يحتاج إلى وسط مختار آخر فتنقل الكلام إليه ويتسلسل وهو محال.

[114] ح + الواحد الحقيقي

[115] ح – الأول

[116] ح – عن

الواجب لذاته دون تجويزه للواجب الغني بالذات غيرُ معقول وتحكُّم محض. ولهذا قال **صاحب التجريد**[١١٧]: " وإثبات الواسطة غير معقول" انتهى فافهم.

لا يقال لِم لا يجوز أن تؤثر فيها الصورة النوعية[١١٨] وهي قديمة عندهم وغير القادر المختارالقديم[١١٩]. فلا يلزم انتهاءها إلى المحدث[١٢٠] القادر المختار؛ لأنه يجاب: الصورة النوعية لا شعور لها وليست بعاقلة عندهم فلا يصح[١٢١] أن تكون علةً مؤثرة، ولأنها داخلة تحت الأجناس أجناسِ المقولات[١٢٢] فيلزم تركُّب ماهيتها، والتركيب ينافي الإيجاد للحوادث على أنها قد برهن على بطلان

---

[١١٧] محمد بن محمد بن الحسن، أبو جعفر، نصير الدين الطوسي: فيلسوف. كان رأسا في العلوم العقلية، علامة بالأرصاد والمجسطي والرياضيات. علت منزلته عند (هولاكو) فكان يطيعه فيما يشير به عليه. ولد بطوس (قرب نيسابور) وابتنى بمراغة قبة ورصدا عظيما، واتخذ خزانة ملأها من الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة، اجتمع فيها نحو اربعمئة ألف مجلد، وقرر منجمين لرصد الكواكب وجعل لهم أوقافا تقوم بمعاشهم. وكان (هولاكو) يمده بالأموال وصنف كتبا جليلة منها؛ **تجريد العقائد، تلخيص المحصل، شرح قسم الإلهيات من إشارات ابن سينا**. انظر، الزريكلي، الأعلام، م ٧، ص ٣٠، الصفدي، الوافي بالوفيات، م ١، ص ١٤٧.

[١١٨] هي جوهر بسيط لا يتم وجوده بالفعل دون وجود ما حل فيه. انظر، الجرجاني، **المرجع السابق**، ص ١٣٦، وقال صاحب النبراس في تعريفها: ماهية جنسية تحتها أنواع مختلفة الحقائق كالصورة النوعية للنار والصورة النوعية للماء، فنسبتها إلى النوعية المطلقة كنسبة الإنسان والفرس إلى الحيوان. انظر، العلامة أبو عبد الرحمن الفرهاري، **النبراس شرح شرح العقائد**، دار ياسين، ص ١٥٤.

[١١٩] ح – القديم

[١٢٠] ح + القديم

[١٢١] في الهامش: لِما عرفت فيما سبق في الطبيعة فإنها...

[١٢٢] ح : المعقولات

كونها موجودة قديمة[١٢٣]. ومن جملة البراهين[١٢٤] ما أشار الناظم إليه بقوله روح الله تعالى روحه ونور قبره[١٢٥]:

كل العناصر والافلاك حادثة وجزءها جوهر فرد ببرهان

فإن القول بالجواهر الفردة يبطل القول بالهيولى والصورة الجسمية[١٢٦] والنوعية[١٢٧]. ومعنى البيت؛ أن كل واحدة من العناصر والأفلاك حادثة لأن أجزائها جواهر فردة وذلك ثابت بالبرهان فافهم. وقد يستدل على تركب العناصر والأفلاك من الجواهر الفردة بان يقال: لا شك في كون الأفلاك والعناصر والمواليد أجراما وأجساما، فتركبها إما من الهيولى والصورة وإما من الأعراض وإما من الجواهر الفردة. والأول والثاني باطلان فتعين الثالث.

أما بطلان الأول فلأن كلا منهما أي من الهيولى والصورة[١٢٨] إما متحيزة بالذات او غير متحيزة؛ فإن كان متحيزة بالذات فإما أن يقبل القسمة أوْلا. فإن كان الأول يكون كل واحدة[١٢٩] منهما جسما

[١٢٣] د + في محله

[١٢٤] د – ومن جملة البراهين

[١٢٥] ح: رحمه الله تعالى

[١٢٦] **الصورة الجسمية**: جوهر متصل بسيط لا وجود لمحله دونه، قابل للأبعاد الثلاثة المدركة من الجسم في بادئ النظر. انظر، الجرجاني، **المرجع السابق**، ص ١٣٥، وقال صاحب النبراس: هي الجوهر الممتد في الجهات والموجود في كل جسم فرد منها. ونسبة تلك الأفراد إليها كنسبة زيد وعمرو إلى الإنسان، انظر، العلامة الفرهاري، **المرجع السابق**، ص ١٥٤.

[١٢٧] د : الصورة النوعية

[١٢٨] د – أي من الهيولى والصورة

[١٢٩] ح : واحد، د – كل واحو منهما

فيحتاج إلى الهيولى الأولى [١٣٠]والصورة الأخرى فننقل الكلام إليهما ويتسلسل، وإن كان الثاني ثبت المطلوب وهو الجزء الذي لا يتجزء. وإن لم تكن متحيزة يكون قبولها الإشارة الحسية محالا، فيمتنع تحيُّزُها[١٣١] بحلول إحديهما[١٣٢] في الأخرى لتجردهما ذاتا. فإن التجرُّد قوة بها تستغني الذات عن التحيز بالذات على ما قال **صدر الشريعة** قدس الله روحه في **التعديل**. وما للشيء بالذات لا يزول بالغير، والحال أن كلا منهما قابلة[١٣٣] للإشارة الحسية تَبَعًا فلا ثبوت لهما فلا يكون كل منهما جزءً من الجسم فليتأمل.

وأما بطلان الثاني؛ فلأن الأعراض لاحتياجها إلى الجسم، يكون الجسم متقدما عليها ذاتا. وجزء الشيء لا بد وأن يكون متقدما على ذلك الشيء ذاتا، فيلزم توقف الجسم على الأعراض ذاتا وتوقف الأعراض عليه ذاتا وليس هذا إلا الدور وفيه تأمل. وأيضا يمتنع أن يتركب مما لا يقوم بذاته ما يقوم بذاته كامتناع[١٣٤] انتقال الأعراض على ما تشهد به الفطرة السليمة. هذا وفيه تُبَصَّر.

ثم المراد بالحدوث الحدوثُ الزمانيُّ وهذا عند أكثر المتكلمين؛ بناء على أن الزمان مقدَّر موهوم متجدد يُقدَّر به متجدد آخر. وأما عند من يقول من محققي المتكلمين ومحققي[١٣٥] مشايخ الصوفية قدس الله اسرارهم بوجود الزمان لتناهيه من قبل الأزل، لا على المعنى الذي قالت به الفلاسفة

---

[١٣٠] ح : الهيولى الأخرى

[١٣١] د : تحيزهما

[١٣٢] د : أحدهما

[١٣٣] د : قابل

[١٣٤] د : لامتناع

[١٣٥] د – محققي

على ما بُسط في كتبهم؛ من أن الزمان حركة الفلك الأعظم أو مقدارها، فإذا هو موجود. بل على أنه متعلَّق إرادته تعالى ـ بالبناء للمفعول ـ، وكل ما هو متعلَّق إرادته تعالى فهو أمر موجود، وقد تعلقت إرادته تعالى بتناهيه[١٣٦] في[١٣٧] جانب الأزل فيكون الحادث الاول موجودا في الزمان[١٣٨] وقتَ حدوثه لا قبله؛ إذ لا وقت قبله كما قال صاحب **التجريد:**

"واختص الحدوث بوقته إذ لا وقت قبلَه." انتهى

فالمراد بحدوث العالم؛ الذي كان الزمان من جملته الحدوثُ الوجودي [١٣٩]وهو القسم السادس للتأخر؛ كتأخر بعض أجزاء الزمان عن البعض، فعلى هذا يكون تقدمه تعالى على العالم التقدمَ الوجودي وهو القسم السادس للتقدم كتقدم بعض أجزاء الزمان على البعض. ولا يكون هذا التقدم التقدمَ الذاتي لانتفاء معية العالم بالحق في الأزل؛ لتحققه[١٤٠] في وقته الذي لم يوجد ذلك الوقت في الأزل.[١٤١] [١٤٢]وإلا لكان مع الحق عز وجل ولا شيء معه في الازل لقوله عليه الصلاة والسلام : " كان **الله**[١٤٣]

---

[١٣٦] ح: بوجوده المتناهي من

[١٣٧] د : من

[١٣٨] د – وقت حدوثه

[١٣٩] من هنا إلى "فعلى" ليست موجودة في نسخة د

[١٤٠] د : لتحقق بداء العالم

[١٤١] الأصل – لتحققه في وقته الذي لم يوجد ذلك الوقت في الأزل. ووجود العبارة موافق للسياق والسباق. والله أعلم.

[١٤٢] د – وإلا لكان مع الحق عز وجل ولا شيء معه في الازل لقوله عليه الصلاة والسلام.

[١٤٣] د + في الأزل

ولا شيء معه"[١٤٤] الحديثَ. فإذا لم يكن هذا التقدم الوجودي التقدم الذاتيَّ، فلا يرجع هذا القول إلى قول الفلاسفة فافهم ذلك. قال روح الله روحه:

خلَق الخلائق خُلُوا عن مخالفة   إذ لا توارد ينفي القول بالثان

جعل مولانا الخيالي روَّح الله روحه هذا الكلام إشارة إلى برهان التمانع، وجعل قولَه "إذ لا توارد" إلخ.[١٤٥] جوابا للمنع المشهور بجواز الاتفاق بأنه لو جاز الاتفاق بينهما لزم توارد العلتين المستقلتين. هذا ولك أن تجعل هذا الكلام إشارة إلى برهاني التمانع والتوارد. وتقرير التمانع وتصويره أن يقال: لو أمكن إلهان قادران مختاران لأمكن التمانع والتخالف[١٤٦] بينهما في خلق الخلائق[١٤٧] وهو محال لاستلزامه أحد الأمرين الممتنعين؛ إمكان عجز الإله، أو إمكان جمع النقيضين. فلا يرد على هذا التصوير المنعُ بجواز الاتفاق فافهم.

---

١٤٤ أخرج الحديث ابن حبان في صحيحيه، انظر، ابن حبان، **الصحيح**، م ٧، ص ١٤، الحديث ٦١٤٠. وقال فيه علي القاري : ثابت ولكن الزيادة وهي قولهم "وهو الآن على ما عليه كان" من كلام الصوفية. انظر، **الأسرار المرفوعة**، ص ٢٣١.

١٤٥ انظر، الخيالي، شرح القصيدة النونية، ص ١٦٣.

١٤٦ د - والتخالف

١٤٧ د – في خلق الخلائق

وتقرير برهان التوارد أنه[١٤٨] لو لم يكن خلق الخلائق خلوا عن مخالفة الغير مطلقا[١٤٩] لكان كل من القادرين إما أن يكونا متوافقين[١٥٠] في خلق الخلائق فيلزم توارد العلتين المستقلتين، وإما أن يكونا متخالفين[١٥١] فيلزم عجز أحدهما وهو محال فتأمل.

فإن قلت: ما الفرق بين البرهانين؟ يقال في الجواب: مدار برهان التمانع[١٥٢] الإرادة، ومدار برهان التوارد[١٥٣] القدرة فافهم. قال روح الله سبحانه وتعالى روحه:

وذاته ليس مثلَ الممكنات فما حكم الوجوب مع الإمكان سِيّان

أي لو كان ذاته تعالى مماثلا للممكنات، متحدا في النوع بها، وإلا لكان حكم الوجوب مساويا مع الإمكان أي لكان ذات الواجب ممكنا لتساوي حكمهما بالنسبة إلى الذات حقيقة وهو محال. فتأمل.

وقال الإمام في نهاية العقول: "مذهب أبي علي الجبائي وأبي هاشم؛ أن ذاته تعالى تساوي سائر الذوات الممكنة وتتميز عنها بالوجوب والعالِمية والحيّيّة وسائر الصفات الكمالية. فيُرد عليهما

---

١٤٨ د – أنه

١٤٩ د – مطلقا

١٥٠ إما متخالفان

١٥١ وإما متوافقان

١٥٢ د + على

١٥٣ د + على

أنه[١٥٤]؛ لو كان الذات الإلهية تساوي سائر الذوات الممكنة، وتتمايز عنها بالوجوب وسائر الصفات الكمالية لكان الذات مركبا بما به التساوي، وما به الامتياز وهو محال[١٥٥]." فليفهم.

قال روح لله روحه: نفي غناه عن الأغيار كثرته

تقريره؛ أنه تعالى منزه عن الكل في ذاته لكونه غنيا بالذات عن الأغيار، والغَني الذاتيُ ينافي الكل لاقتضائه الكثرة المقتضية[١٥٦] لحاجة الكل فيما فيه جزءان

فبطل قول الملاحدة والمجسمة من أن الحق ـ تعالى عن ذلك ـ يحُل في الخلق وأن العرش مَحلُّ الحق جل شأنه [١٥٧]وتعالى عن ذلك، وهو يئط تحته أطيط الرحل الجديد(لم أستطع ان أقرأ) إلى غير ذلك من الأباطيل ـ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ـ ثم صرح بما علم إجمالا فقال رحمه الله تعالى:

وليس كلا ولا جزء ولا عرضا ولا محلا لأعراض وأكوان

لاحتياج الكل إلى الجزء والجزء، إما الهيولى والصورة وكل منهما مفتقرة إلى الأخرى، أو[١٥٨]الجواهر الفردة وهي مفتقرة إلى الموضوع، أو العرض وهو مفتقر إلى العين. و[١٥٩]الواجب تعالى

---

[١٥٤] ح: - أنه

[١٥٥] انظر، فخر الدين الرازي، نهاية العقول في دراية الأصول،

[١٥٦] د - المقتضية

[١٥٧] في نسخة ح، لا يوجد هذا القسم إلى "وهو يئط"

[١٥٨] ح : و

[١٥٩] ح : ف

مستغن عن الكل وعن كونه محلا للأعراض لتعالي ذاته عن كونه محلا للحوادث. فهذا رد على المجسمة والكرامية وبعض الحنابلة.

ولا تقل جواهر أيّاً عنيت به[١٦٠]   ونزِّه الاسم عن إيهام نقصان

فالنهي معلَّل[١٦١] بالتنزيه به بقول الله سبحانه {سبِّح اسم ربك الأعلى}[١٦٢] وهذا على تقدير كون الاسم مغايرا للمسمى، وأما على تقدير كونه عين المسمى فالأمر ظاهر فافهم. ثم لما توهم أن يقال: أليست الإحاطة في قوله سبحانه"والله بكل شيء محيط" تعطيك إيهام الكثرة في ذاته تعالى؟ دُفع هذا التوهم بقوله رحمه الله تعالى:

بكل شيء محيط لا اتحاد له   ولا حلول لدى أصحاب عرفان

قال مولانا الخيالي روح الله روحه ما حاصله: أن المراد بالإحاطة ههنا الإحاطة العلمية وإلا [١٦٣]يرجع هذا القول[١٦٤] إلى مذهب الصوفية القائلين بأن وجود الحق هو الوجود المطلق المنبسط على الاشياء بحيث لا تمايز ولا تكَثُّرَ بل هو واحد بحيث لا إثنينية ولا حلول[١٦٥] انتهى.

---

[١٦٠] ح : شرح هذا القسم من البيت لا يوجد إلا في نسخة د وهو: واعلم أن الجوهر وإن كان معناه القائم بنفسه لكنهم لما جعلوه جنسَ الأجناس وعَدوه من المقولات صار إطلاقه عليه سبحانه وصار استعمال هذا اللفظ شائعا في الممكن هو مما للنقصان. ونحن مأمورون بتنزيه اسمه وذاته تعالى عن النقصان، لذلك قال:

[١٦١] د + بالأمر

[١٦٢] سورة الأعلى، الآية ١.

[١٦٣] د : فيرجع

[١٦٤] د – هذا القول

[١٦٥] انظر، الخيالي، **المرجع السابق**، ص ١٧٢.

وأنت تعلم أن كلام الناظم في مقام تنزيه الذات لا في بيان شمول العلم من الصفات. فالظاهر أن الناظم سلك مسلك السلف في هذه المسئلة من اختيار تفويض المراد إليه تعالى بلا حمل النظم على ظاهر معناه. فكأنه جعل قوله تعالى {والله بكل شيء محيط}، {والله من ورائهم محيط}[١٦٦] [١٦٧] من قبيل المتشابهات ولم يجعل الإحاطة ههنا راجعة إلى الإحاطة العلمية في قوله تعالى{وأن الله قد أحاط بكل شيء علما}[١٦٨] [١٦٩] كما جعلوها حيث جعلوا هذه الآية مفسِّرة لقوله تعالى {والله بكل شيء محيط} فقال بكل شيء محيط إلخ.

فيكون كلامه هذا نظيرَ كلام الإمام، مقتدى الأَنام، إمامنا الهُمَام، حضرت أبي حنيفة النعمان[١٧٠] ابن ثابتٍ الكوفي رضي الله عنه في الاستواء: "نقر بأن الله على العرش استوى، من غير أن يكون له حاجة واستقرار علي" انتهى. وكلام إمام دار الهجرة حضرت مالك[١٧١] رضي الله عنه " الاستواء معلوم،

---

[١٦٦] سورة البروج، الآية ٢٠.

[١٦٧] ح – {والله من ورائهم محيط}

[١٦٨] سورة الطلاق، الآية ١٢.

[١٦٩] د – كما جعلوها حيث جعلوا هذه الآية مفسِّرة لقوله تعالى "والله بكل شيء محيط" فقال بكل شيء محيط إلخ

[١٧٠] النعمان بن ثابت، التيمي بالولاء، الكوفي، أبو حنيفة: إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. قيل: أصله من أبناء فارس. ولد ونشأ بالكوفة. وكان يبيع الخز ويطلب العلم في صباه، ثم انقطع للتدريس والإفتاء. وأراده عمر بن هبيرة (أمير العراقين) على القضاء، فامتنع ورعا. وأراده المنصور العباسي بعد ذلك على القضاء ببغداد، فأبى، فحلف عليه ليفعلن، فحلف أبو حنيفة أنه لا يفعل، فحبسه إلى أن مات (قال ابن خلكان: هذا هو الصحيح).

وكان قويّ الحجة، من أحسن الناس منطقا، قال الإمام مالك، يصفه: رأيت رجلا لو كلمته في السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته. وكان كريما في أخلاقه، جوادا، حسن المنطق والصورة، جهوريّ الصوت، إذا حدّث انطلق في القول وكان لكلامه دويّ، وعن الإمام الشافعيّ: الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة. له **مسند** في الحديث، جمعه تلاميذه، و**المخارج** في الفقه، صغير، رواه عنه تلميذه أبو يوسف. انظر، الزريكلي، **الأعلام**، م ٨، ص ٣٦.

[١٧١] إمام دار الهجرة، وعالم المدينة، وحجة الأمة، وأستاذ الأئمة، وعلم الفقهاء، وأمير المؤمنين في الحديث. أحد أوعية العلم – مع الثقة التامة، والحفظ البارع، والنقد السديد، والعقل الكامل، والصدع بالحق، فضلا عن التثبت وجودة الأخذ، والتأسي بمن سلف. صاحب الهيئة والهيبة، والسّمت والوقار، والمروءة والأدب. شيخ تابعي التابعين: أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن

والكيفية مجهولة، والإيمان به واجب، والبحث عنه بدعة"[١٧٢] حيث أثبتا الاستواء وفوضا المراد منه إليه سبحانه، ونفيا الاحتياج والاستقرار عنه تعالى. وكذلك الناظم عليه الرحمة أثبت الاحاطة في حقه تعالى بقوله "بكل شيء محيط" ونفي الحلول والاتحاد المستلزمين للافتقار عنه تعالى[١٧٣] بقوله " لا اتحاد له ولا حلول لدى أصحاب عرفان" فتبصر. قال رحمه الله تعالى:

ولا اتصال بأحياز وأوقات ولا اتصاف بأشكال وألوان

عطف على قوله : "لا اتحاد له" والمعنى أنه تعالى بكل شيء محيط بلا اتحاد ولا حلول ولا اتصال بالأحياز والأوقات، ولا اتصاف بأشكال وألوان. أو مسئلة مبتدأة كما في سائر الأبيات يعني أنه تعالى منزه عن هذه الصفات؛ لأن هذه الصفات من خواص الأجسام والجواهر، والذات الإلهية ليس بجسم ولا جوهر، وكذا متعال عن الاتصال بالأوقات؛ [١٧٤]إذ هو ليس بزماني فإن الزمان كما سبق ذكره إما موجود مُمتدٌّ، فيكون من العالم فيدخل تحت الإرادة الإلهية، وإما مقدَّرٌ موهوم متجدِّد يُقدَّر به متجدد آخر. والواجب ليس بمتجدد حتي يحتاج إليه، بل هو قديم أزلي باقٍ أبدي.

أبي عامر الحميري ثم الأصبحي، حليف بني تيم بن مرّة من قريش، المدني. المولود بذي المروة سنة (٩٣) على الأصح، والمتوفى بالمدينة المنورة والمدفون بالبقيع سنة (١٧٩) وله ست وثمانون سنة على الأرجح. انظر، د. قاسم علي سعد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، م ١، ص ١٠.

[١٧٢] يذكره تاج الدين السيكي بهذه العبارة. انظر، **طبقات الشافعية الكبرى**، م ٤، ص ٢٨٧.

[١٧٣] د – عنه تعالى

[١٧٤] من بداية شرح البيت إلى " إذ هو ليس بزماني " تغيرت العبارة وهي : يعني ان الذات المنزهة الإلهية تتعالى عن الاتصال بالأحياز إذ هو من خواص الأجسام والجواهر، والذات الإلهية ليست بجسم ولا جوهر. وكذا متعال عن الاتصال بالأوقات.

فإن قيل: قد ورد في كتاب **الدلائل** وغيره إطلاق الدهرى عليه تعالى بقوله"يا دهرى يادى مومى"، وقد أخذ ذلك صاحب الدلائل من المأثور والدهر هو الزمان. يقال في الجواب في قولك: "وقد أخذ ذلك صاحب الدلائل من المأثور" صدقتَ. وقولك "الدهر هو الزمان" ممنوع لجواز أن يكون الدهر عبارةً عن البقاء الدائمي المقرون باالتجرُّد عن الأزمنة فيكون من عالم اللاهوت الذي هو قبل الزمان قَبليَّة وجودية لا ذاتية ولا زمانية كما قال الحسين الخلخالي[١٧٥] رحمه الله تعالى في **الحاشية الجلالية**: "الدهر وعاء الزمان الذي فيه يَتَّحد الأزل بالأبد، والمجردات بالدهر لا في الزمان.[١٧٦][١٧٧] فأين قولك لله تعلى "يا دهري يا دي مومي" من قولك له تعالى "با زماني" فافهم.

فأما تنزيهه تعالى عن الشكل واللون فلأنهما من أوصاف الجسم أيضا[١٧٨]، والواجب تعالى ليس بجسم لِوجوه؛

---

[١٧٥] قرأ على المحقق ميرزاجان حبيب الله الشيرازي وصار من أشبه تلاميذه، فدرس فأفاد وصنَّف فأجاد وانتفع به الطلبة فرحلوا إليه من الروم وبلاد العجم وشاع فضله ومهارته في المعقولات ومن زمرة طلابه المولى عبد الرحيم مفتي الروم وغيره. كتب **حاشية على شرح العقائد للجلال الدواني**، وكان المولى يوسف القَرَابَاغي علق عليه قبل ذلك فردَّ واعترض عليه في كثير من المواضع، ولما وصل إليه ما كتبه أعاد العمل واستأنف حاشية طويلة الذيل وسماها **التتمة**. وله **تعليقات على طبقات الجلال وحاشية على شرح التهذيب له وتعليقة على شرح المبتدي** جمعها بعض الطلبة من هوامش نسخته. توفي سنة ألف وثلاثين. انظر، حاجي خليفة، **سلم الوصول إلى طبقات الفحول**، م ٢، ص٥٩.

[١٧٦] د + انتهى قول الخلخالي رحمه الله تعالى

[١٧٧] نقل اللاله زاري مطابق لما في الحاشية الجلالية للخيالي إلا بتغيير مقول القول. لأن الخلخالي ليس هنا بمقول القول. بل مقول القول هم الحكماء. إذ هو وقول في حاشيته: (قوله فالواجب تعالى) لما كان متعاليا عم الزمان وذلك لعدم دخوله تحت تصاريف الزمان وعدم تغيره بتغيره. قال الحكماء: إن المجردات ليست واقعة في الزمان بل هي واقعة في الدهر الذي هو وعاء الزمان. انظر، أبو حسين الخلخالي، **الحاشية الجلالية**، (شرح الدواني على العضدية مع حواشي الكلنبوي والمرجاني والخلخالي علي شرح الجلال)، ص ٧٧.

[١٧٨] د – أيضا

أ: لو كان جسما لكان متماثلا لتألُّف الأجسام من الجواهر الفردة كما مر. فمن هذه الحقيقة لزم أن يصح الاتصاف بالحدوث والإمكان؛ لكون بعض صفات[179] الاجسام كذلك وهو محال.

ب: لكان مركبا، والتركيب ينافي الوجوب الذاتي،

ج: لكان متحيزا فيلزم تقدم حيزه عليه ـ تعالى عن ذلك،

د: لكان محتاجا إلى المكان، والاحتياج ينافي الوجوب الذاتي،

هـ: لزم عجزه عن إيجاد الأجسام إذ؛ أحد المتماثلين لا يمكن إيجاده للآخر،

و: لكان مسبوقا إما بالإرادة أو بالمادة على رأي المتكلم والحكيم،

---

[179] د - صفات

ز: لكان متناهيا لتناهي الأجسام[180] لتناهي الأبعاد بالبرهان السُّلَّمي[181] والمُسَامَّةِ[182]. والواجب سبحانه منزه عن الكل من[183] هذه اللوازم فافهم.

إن قلت: أليس للمجسم والحلولي[184] أن يقول: أخذنا اعتقادنا من ظاهر قوله تعالى {الرحمن على العرش استوي}[185]، {يد الله فوق أيديهم}[186]، {يخافون ربهم من فوقهم}[187][188]، {والله بكل شيء محيط}، {وهو معكم أين ما كنتم}[189]، {ونفخت فيه من روحي}[190]؟ الآيات. فإن قلتم أيها الأشاعرة

---

[180] د – لتناهي الاجسام

[181] **البرهان السلمي**: هو أن يُفرَضَ من نقطة ما خطّين ينفرجان بحيث يكون الانفراج بينهما بقدر الامتداد، فإذا ذهبا إلى غير النهاية كان البعد بينهما غير متناه بالضرورة، واللازم باطل لأنّه محصور بين حاصرين، والمحصور بين حاصرين يمتنع أن لا يكون له نهاية ضرورة.

[182] **برهان المسامة** : تصويره؛ بأنه لو وجد بعد غير متناه ولو من جهة واحدة فلنا أن نفرض من مبدأ معيّن خطّا غير متناه وخطّا آخر متناهيا موازيا له، ثم يميل الخط المتناهي بحركة مع ثبات أحد طرفيه الذي في جانب المبدأ من الموازاة مائلا إلى جهة الخطّ الغير المتناهي، فيسامّه أي يلاقيه بالإخراج ضرورة، والمسامّة حادثة لأنّها كانت معدومة حال الموازاة، فلها أول، إذ كلّ حادث كذلك وهي أي مسامته إيّاه بنقطة، لأنّ تقاطع الخطين لا يتصوّر إلّا عليها، فيكون في الخطّ الغير المتناهي نقطة هي أول نقطة المسامّة وأنه محال، إذ ما من نقطة تفرض على الخطّ الغير المتناهي إلّا والمسامّة مع ما قبلها أي فوقها من جانب لا تناهي الخط قبل المسامة معها، لأن المسامة مع أية نقطة تفرض إنّما تحصل بزاوية مستقيمة الخطّين عند الطرف الثابت من الخطّ المتناهي، فأحد الطرفين هو مبدأ المتناهي مفروضا على وضع الموازاة والآخر هو بعينه أيضا، لكن حال كونه على وضع المسامّة والزاوية تقبل القسمة إلى غير النهاية، وكلّما كانت الزاوية أصغر كانت المسامة مع النقطة الفوقانية،فلم تكن تلك النقطة الأولى أول نقطة المسامة فلا يمكن أن يوجد هناك ما هو أول نقطة المسامة. انظر، التهانوي، **المرجع السابق**، م ١، ص ٣٢٧.

[183] د - الكل من

[184] د – الحلولي

[185] سورة طه، الآية ٥.

[186] سورة الفتح، الآية ١٠.

[187] سورة النحل، الآية ٥٠.

[188] د - {والله بكل شيء محيط}، {وهو معكم أين ما كنتم}، {ونفخت فيه من روحي}

[189] سورة الحديد، الآية ٤.

[190] سورة ص، ٧٢.

في هذه الآيات أنها متشابهات نقول لكم: المتشابهات قوله تعالى {ليس كمثله شيء}[١٩١]، {لا تدركه الأبصار}[١٩٢]، {الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد}[١٩٣] إلى غير ذلك. فمن أين علمتم أن هذه الآيات السابقة متشابهات دون هذه الآيات فليكن الأمر بالعكس؟

يقال في الجواب: بعد توافق البراهين العقلية لمثل قوله تعالى {ليس كمثله شيء} لا مجال لكم أن تقولوا ذلك[١٩٤]؛ فإن العقل مُزَكٍ للشرع والشرع شاهد بالتفاصيل، فلو كذَب العقل، فكيف يزكي الكاذبُ الشرع الصادقَ؟ فكيف تميز أنت أيها المتكلم صدقَ النبي عن كذب المُتنبّئ؟ فافهموا.

ـ هداكم الله تعالى إلى الصراط المستقيم وثبتنا على النهج القويم ـ هكذا قال الإمام أبو حامد الغزالي قدس الله سره في كتاب **الأسئلة والوصايا والقانون**.[١٩٥] قال:

حي سميع بصير عالم شاء ذو قدرة وكلام غير ألحانِ

إنما قدّم السميع والبصير على العالِم مع أن صفة العلم متقدمة على السمع والبصر ذاتا؛ لكون متعلقَيهما خاصا أولكونهما راجعَين إلى العلم بالمسموعات والعلم بالمُبصرات. ولما توجه علينا من طرف المعتزلة التشنيع بأن يقال: أن النصارى قد كفرت بإثبات ثلاثة قدماء[١٩٦]، فما بالكم لا تكفرون حيث أثبتتم سبعة قدماء أو ثمانية؟ أجاب عنه بقوله رحمه الله تعالى:

---

[١٩١] سورة الشورى، الآية ١١.

[١٩٢] سورة الأنعام، الآية ١٠٣.

[١٩٣] سورة الإخلاص، الآيات ١ ـ ٣.

[١٩٤] من هنا إلى نهاية شرح البيت ليست موجودة في نسخة د

[١٩٥] الغزالي، **قانون التأويل**، ت. محمد زاهد الكوثري، مطبعة الأنوار، ١٣٥٩، ص ١٠.

[١٩٦] د + وهي الأقانيم الثلاث

وكثرة القدماء غير لازمة   إذ لم يكن غيرَها في عين يقظان

يعني إن إثبات الصفات القديمة لا يستلزم القول بالقدماء المتكثرة ذاتا[١٩٧]، وإنما يقتضي ذلك لو كانت الصفات غيرَ الذات، وأما إذا كانت لا هو ولا غيره فلا يستلزم ذلك. والنصارى وإن لم يصرِّحوا بذلك لكنه لزمهم ذلك لتجويزهم الانفكاك عنه تعالى[١٩٨] والانتقال إلى بدن المسيح عليه السلام. كذا قال بعض المحققين. وإنما اقتصر على نفي الغيرية لكون مراده رحمه الله تعالى[١٩٩] بالغير الاصطلاحي بمعني جواز الانفكاك عنه تعالى.

وقال الإمام صدر الشريعة صاحب التوضيح في كتاب **تعديل العلوم** له قدس الله روحه في تعديل علم الكلام في باب مقامات العارفين عند ذكر مسئلة الانسلاح: "ولقد أدركتُ من مشايخ الطريقة قدس الله أرواحهم أنه وقع لروحه العروج[٢٠٠] للعالم العُلوي مستلقيا جسده على الأرض فوق عشرة أيام، والروح يشاهد في بعض تلك الأيام في هيئة الجسد حتى انخلع من تلك الهيئة وصار مشاهدا في صورته الروحية وقد كان حيط دقيق نوراني متصلا بينه وبين الجسد. وصورته أنه جسم لطيف[٢٠١] في غاية اللطافة، واللطف والإشراق ناطق سميع بصير عالم قادر؛ فإذا أدركته ناطقا فهو بكليته ناطق كان حقيقته الناطقيةَ لأنه صفة زائدة على ذاته، وكذا إذا أدركته سميعا بصيرا من غير أن تكون بعض تلك

---

[١٩٧] د : بالذوات القديمة

[١٩٨] د – عنه تعالى

[١٩٩] د + من الغير

[٢٠٠] د : عروج

[٢٠١] د – لطيف

الصفات متميزة عن البعض بخلاف ما يشاهد في البدن، فتبين لي أن صفات الله لا هو ولا غيره" انتهى. وهذا القول يوهم القول بنفي زيادة الصفات على الذات فافهم.

ويعضُضُه قول مولانا **جلال الدين الدوَّانِي** قدس الله سرَّه في **شرح عقائد العضدية**: "واعلم أن زيادة الصفات على الذات وعدم زيادتها مما لا يُدرك إلا بالكشف"[٢٠٢]وقال في موضع آخر منه "ومن هذا علمت أن الصفات ليست غير الذات" انتهى.

وأنت خبير بأن الكشف الصحيح وإن كان مفيدا للعلم لكن إفادته مخصوصة بأرباب الكشف بخلاف النظر الصحيح؛ فإنه وإن كان من جهة القوة دون الكشف كما مر، لكن إفادته العلم ليست بمخصوصة للمستدِلّ الواحد بل يعمه وغيرَه، والوظيفة في هذا الفن [٢٠٣]إقامة البرهان بالنظر الصحيح، والوظيفة[٢٠٤] في فن التصوف الكشفُ[٢٠٥]، فدَرجُ وظيفة أحد العلمَين المدونين بالآخر عجيب قطعا فتُبصَّر.[٢٠٦]

---

[٢٠٢] نقل اللاله زاري منطبق على كلام الجلال إلى بتغيير يسير في العبارة وهو "وقد سمعت بعض الأصفياء أنه قال عند أن زيادة الصفات وعدم زيادتها وأمثالها مما لا يدرك إلا بالكشف. انظر، جلال الدين الدواني، **شرح العقائد العضدية**، (مع حواشي الكلنبوي والمرجاني والخلخالي) مطبعه عامرة، م ١، ص. ٣٠٠.

[٢٠٣] د : النظر والاستدلال

[٢٠٤] ح – وظيفة

[٢٠٥] + الصحيح

[٢٠٦] ح : في الهامش: قوله "فتبصّر" وجه الأمر بالتبصر الإشارة إلى الجواب بأن المنفهم من كتاب **تعديل العلوم** لـ**صدر الشريعة**، أن علم التصوف عنده جزء من علم الكلام كما أن علم البديع عند **السكاكي** جزء من البيان. إلا أن قوله في **التوضيح** غير تعريف الأصول فخرج به الكلام والتصوف يأبى عن ذلك فتأمل.

ثم تيقظ من نومك بعين يقظان وهي عين أهل البصيرة من الأولياء[٢٠٧] من أهل اليقين وهم إما صاحب علم اليقين أو صاحب عين اليقين أو صاحب حق اليقين. وأما غيرهم فهم بمَعزِل عن ذلك[٢٠٨] وتحسبهم أيقاظا وهم رقود، وإليهم وقعت الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم: "الناس نيامٌ و[٢٠٩]إذا ماتوا انتَبَهوا"[٢١٠] أو[٢١١] الذين يؤمنون بالله واليوم الآخِرِ ثم لا يرتابون الداخلون تحت حكم قوله تعالى {الذي آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا...}[٢١٢] لا يموتون كما قيل:

المؤمنون لا يموتون بل   يُنقَلون من دار الفناء إلى البقاء

وإنما لم يموتوا بالهلاك المعنوي؛ إذ كانت قلوبهم صحيحة عن مرض الرَيب فلم يكونوا من الذين في قلوبهم مرض، فإذا كانت قلوبهم سالمة عن مرض الرَيب كانوا لا يلحقهم الهلاك، إذ الهلاك بزيادة المرض، وحيث لا مرض لا زيادة فلا موت لهم حقيقة. فلا نوم لهم في هذه النشأة فهم في هذه النشأة عينٌ يقظانُ لكون عيونهم مُكحلة بالنور المرشوش في الأزل فتيقظ. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

---

[٢٠٧] د – من الأولياء

[٢٠٨] د – فهم بمعزل عن ذلك

[٢٠٩] د : ف

[٢١٠] قال فيه صاحي كشف الخفاء: هو من قول علي بن أبي طالب لكن عزاه الشعراني في الطبقات لسهل التستري، ولفظه في ترجمته ومن كلامه الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا وإذا ماتوا ندموا وإذا ندموا لم تنفعهم ندامتهم. انظر، العجلوني، **المرجع السابق**، م ٢، ص ٣١٢، ٣٨٨.

[٢١١] د + المؤمنون

[٢١٢] سورة الحجرات، الآية ١٥.

ولما وقعت بين الماتريدية والأشاعرة المخالفة في التكوين أورد له بيتا برأسه، فقال روح الله روحه:

تكوينه أزلي لا زمان له لكن مكَوَّنه في الوقت والآن

ذهبت الأشاعرة إلى أن تأثير القدرة على وفق الإرادة، كافٍ في إيجاد[٢١٣] المُحدثات فلا يُحتاج إلى إثبات صفة التكوين. وذهبت الماتريدية إلى أن التكوين صفة قديمة كالقدرة وينسبون القول به إلى قدمائهم من عظماء أهل السنة كأبي جعفرٍالطحاوي [٢١٤]عليه الرحمة، والدليل على كونه زائدا على القدرة؛

أن القدرة صفة بها يمتاز القادر عن المريد وإلا لكان القادر عين المريد وليس كذلك، إذ مفهوم القادر من حيث إنه قادر أنه موصوف بالقدرة التي شأنها التأثير[٢١٥]، ليس مفهومَ المريد من حيث إنه موصوف بالإرادة التي شأنها الترجيح[٢١٦] لتغاير الوصفين؛ أعني التأثير الذي هو ِشأن القدرة والترجيح الذي هو شأن الإرادة.

---

[٢١٣] ح : وجوب، والظاهر أنه من خطأ المستنسخ

[٢١٤] أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك بن سلمة بن سليم بن سليمان ابن حباب، صاحب كتاب شرح الآثار كان إماما فقيها من الحنفيين ولد سنة تسع وعشرين ومائتين ومات سنة تسع وعشرين ومائتين ومات سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة. صحب المزني وتفقه به ثم ترك مذهبه وصار حنفي المذهب وكان ثقة ثبتا كذا قاله السمعاني. انظر، عبد القادر بن محمد القرشي، **المرجع السابق**، م ١، ص ١٠٣.

[٢١٥] د – التي شأنها التأثير

[٢١٦] د – التي شأنها الترجيح

كذلك[٢١٧] يمتاز الفاعل عن القادر؛ فإن مفهوم القادر ليس بعينه مفهوم الفاعل وإلا لزم أن تكون القدرة من حيث إنها صفة مؤثرة في الإيجاد[٢١٨]، عينَ الإيجاد والإبداع فحقيقة التكوين؛ ما به يمتاز الفاعل عن القادر و يتحقق به الفعل. والدليل النقلي قوله تعالى{إنما أمره إذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون[٢١٩]}[٢٢٠] ووجه الاستدلال مذكور في شرح العقائد[٢٢١] فليطالَع ثمة.

ولما توجه على الماتردية الاعتراض بأنه لو كان التكوين قديما لزم قِدم المكوَّنات لامتناع تخلُّف المعلول عن علته، واللازم باطل لكونها مختصة بالأوقات ولأزمان أجاب عنه بقوله "تكوينه أزلي" إلخ. حاصله أن كون التكوين صفة أزلية،لا يقتضي وجود المكوَّن في الأزل، [٢٢٢]وإنما يقتضي ذلك لو وجد شرط وجود المكوَّن في الأزل وهو الوقت، وهو ليس بموجود في الازل بل التكوين أزلي وتعلُّقه بالممكن باعتبار الوقت والآن الذي كان شرطا لوجود الحوادث بحسب تعلق القدرة والله تعالى أعلم بالصواب فافهم. قال روح الله روحه وشكر سعيه:

نفي التسلسل جمعا او معاقبة   أفاد قدرة ذي صنع وإتقان

---

[٢١٧] ح : في الهامش: قوله "كذلك" تقرير آخر لما سبق.

[٢١٨] د – في الإيجاد

[٢١٩] د: {إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون}

[٢٢٠] سورة يس، الآية ٨٢.

[٢٢١] سعد الدين عمر التفتازاني، **شرح العقائد النسفية**، (مجموع الحواشي البهية على شرح العقائد النسفية)، ص ١٤٥ ـ ١٤٦.

[٢٢٢] الأصل - وإنما يقتضي ذلك لو وجد شرط وجود المكوَّن في الأزل. أبقينا العبارة في المتن لأنه أكثر موافقة لما سبق وما سيق من الكلام، والله أعلم.

يعني أن صانع هذه الموجودات الممكنة، قادر مختار ذو قدرة وذو صنع وإتقان وإلا لكان موجبا فيلزم قِدم الحادث؛ لأن أثر الموجب القديم قديم، إذ لو كان حادثا لَتَوقف على شرط حادث بناء على امتناع تخلُّف المعلول عن العلة، فذلك الشرط الحادث لكونه أثرا للموجب القديم، يتوقف على شرط حادث آخر فيلزم التسلسل في الشرائط الحادثة وهو محال لجريان البرهان فيها.

ثم إن برهان التطبيق جارٍ في الموجودات مطلقا مجتمعة في الوجود أو متعاقبة، واشترطت الفلاسفة في جريان البرهان الاجتماعَ في الوجود مع الترتب[٢٢٣][٢٢٤] فهو عندهم لا يدل على تناهي الموجودات المتعاقبة الغير المتناهية. وتصوير هذا البرهان وبرهان التضايف وغيره مبسوط في المطولات وشروح هذه المنظومة فعليك بمطالعتها. ثم نقول هذه الإفادة المذكورة في البيت السابق:

كما استدل على علم المؤثر   من إتقان أفعاله أرباب إيقان

واعلم أني سأطول الكلام في هذا المقام لتقرع سمعك حقيقة روح[٢٢٥] كلام الإمام حجة الإسلام قدس الله تعالى سره "ليس في الإمكان أبدع مما كان" فتلقي[٢٢٦] السمع إلى قلبك فتقف على أن مراد الإمام بالإمكان[٢٢٧]؛ الإمكان الوقوعي لا الذاتي، فلا يَرِد عليه ما أورده البعض من الملامِّ؛ [٢٢٨]إذ

---

[٢٢٣] انظر، جلال الدين الدواني، **رسالة إثبات الواجب القديمة**، (من سبع رسائل) اعتنى عليه د. سيد أحمد الطوسركاني، ص ٦٩.

[٢٢٤] د – مع الترتب

[٢٢٥] د - حقيقة روح

[٢٢٦] ح : فنلقي

[٢٢٧] د +المنفي

[٢٢٨] د - إذ ينكشف لك من هذا التقرير ما المراد بالأبدع، ولِم قال أبدعُ مما كان ولم يقل أحسن أو أعظم أو غير ذلك في هذا المقام فنقول.

ينكشف لك من[٢٢٩] هذا التقرير ما المراد بالأبدع، ولِم قال أبدعُ مما كان ولم يقل أحسن أو أعظم أو غير ذلك في هذا المقام فنقول: استدلوا على علم المؤثر[٢٣٠] بأن هذا العالم الذي هو أثر للمؤثر صنعٌ بديعٌ متقَنٌ، وكل أثر شأنه هذا فمؤثره ذوعلم.

أما الصغرى؛ فلما نشاهد في الأنفُس وفي الآفاق:

أما الانفس؛ فلينظر الإنسان مم خُلق أوّلا، ثم كيف جُعلت في الرحم النطفة علقةً، ثم مضغةً في هيئة الاستدارة لا تري فيها شيئا من الجوارح، ثم كيف نُفخ فيها الروح عند التسوية[٢٣١]، ثم يخرج إلى الدنيا وهو[٢٣٢] لا يعلم شيئا، ثم ينموا، ثم أُودِعت في الإنسان ثلاثة أعضاء فجعلها سبحانه رئيسيَّته [٢٣٣]وهي الدماغ محلُّ الروح النفساني والقلب محل الروح الحيواني والكبد محل الروح الطبيعي، ثم كيف جُعلت طبيعة الدماغ باردةً وإلا لهلك الإنسان لغلبة الحرارة الزائدة الغريبة على الحرارة الغريزية، ثم كيف أُودِعت فيها التجاويف الثلاث وكيف ينتشر الدم من العروق الرقيقة كالليف؟

وكيف جُعل الرأس في أعلى البدن نظيرا للعرش في الآفاق، وكيف أودعت في الرأس العين والأذن والأنف واللسان، وكيف أودعت الباصرة في العين والسامعة في الأذن والشامة في الأنف والذائقة في جِرم اللسان، وكيف عمت اللامسة لجميع البدن، وكيف جُعل المَضغُ آلة التغذي للحواس

---

[٢٢٩] ح : من هو

[٢٣٠] د – بأن هذا العالم الذي هو أثر للمؤثر

[٢٣١] د – عند التسوية

[٢٣٢] د – وهو

[٢٣٣] من هنا إلى قوله " ثم كيف " العبارة تختلف عن العبارة الموجودة في الأصل وهي : لأنها إما معط غير قابل وهو القلب أو قابل ومعط وهو الكبد أو قابل غير معط وهو الدماغ.

ما عدا الملامسة، وكيف تجذب الحاذبة اللقمة من فم المعدة، وكيف تمسك الماسكة فيها، وكيف جُعلت حرارة المعِدة شديدةً جدا، وكيف تدفع الدافعة ما يصلح للدم إلى عروق ماساريقا وما لا يصلح لذلك إلى البواب والأعور[٢٣٤].

وكيف تجذب جاذبة الكبد من عروق ماساريقا، وكيف يستحيل الغذاء بعد الهضم في الكبد إلى الدم وكيف ينتشر الدم منه إلى البدن بواسطة العروق، وكيف وُضعت لمناسبة كل حركة وعمل هيئة كل عضو[٢٣٥]، وكيف يستحيل الدم لحما وكيف يأخذ العظم الغذاء[٢٣٦] من اللحم والشحم بواسطة الغضروف، وكيف وُضِع[٢٣٧] القلبُ تحت الثدي في اليسار، وكيف أودعت في القلب القوة الحيوانية المسماة عند الطبيب بالروح الحيواني كما أودعت في الدماغ والكبد القوة النفسانية والقوة الطبيعية أي الروح النفساني والروح الطبيعي، وكيف نيطت الطبيعة بالقلب[٢٣٨] وكيف كان ذلك مبداء للحرارة الغريزية، وكيف يدفع ما يرد عليه من الأمراض، وكيف وضعت في القلب[٢٣٩] التصديقات والإدراكات النورانية؟

وأما الآفاق فلتنظر في ملكوت السماوات والأرض فهو على نوعين فوقياتٍ وتحتياتٍ؛

[٢٣٤] د + والمستقيم

[٢٣٥] ح : هيئة الأعضاء كلها

[٢٣٦] د : الغذاء العظم

[٢٣٧] ح: وضع الحق عز وجل

[٢٣٨] د : بها

[٢٣٩] د : فيها

أما الفوقياتُ؛[240] فلينظر إلى السماء[241] كيف رُفعت، وإلى الفلك الأعلى كيف جعل فوق الكل متحركا بالحركة اليومية محيطا بجميع الأجسام،[242] ثم جُعل في جوفه فلك البروج، ثم جعل في جوفه[243] الفلك المكوكب مماسا محدَّبُه مُقَعَّرَ[244]فَلَكِ البروج. فإن الفلك المكوكب ليس كما زعم أكثر أهل الهيئة[245] فلكَ البروج، بل هو تحت البروج وفوق فلك زحل[246]، ويدل على كونه كذلك أن النسر عند بناء أهرام مصر كان [247]في الأسد وهو الآن[248] في الجدي. هكذا قال الشيخ **محي الدين عربي**[249] قدس الله سره في الفتوحات[250] في باب ٢٣٥[251].

وكيف جعل فلك البروج فوق المكوكب وتحت الفلك الأطلس[252]، وكيف كانت طبائع المثلثات متخالفة بعضها بعضا جدا مع أن بساطة الفلك تقتضي الطبيعة الواحدة، وكيف جُعل تحت المكوكب الفلك المركوز في تدوير خارجة زحل، وجعل سبحانه صورته هكذا، وجعل سبحانه فلك

---

[240] في الهامش : علويات وسفليات، فلكيات وعنصريات

[241] ح : فلتنظر إلى السماوات

[242] د - ثم جُعل في جوفه فلك البروج

[243] ح : أي في جوف فلك البروج

[244] د : مقعر الفلك الأعلى

[245] ح + أنه

[246] د : بل هو تحت الأطلس وفوق الفلك البروج

[247] د - كان، في السرطان

[248] ح : في الهامش؛ أي سنة أربع وثلاثين وستمائة.

[249] ح – محي الدين عربي.

[250] د – في الفتوحات، ولم يذكر البابَ والرقمَ.

[251] ح : في الفتوحات المكية، ولم يذكر رقم الباب أيضا في هذه النسخة.

[252] د : وكيف جعل فلك البروج تحت المكوكب وفوق فلك زحل.

المشترى وسائر الأفلاك هكذا إلا فلك عطارد وفلك القمر؛ فإن فلك عطارد محتو على حامل سوى الخارج[٢٥٣] ، [٢٥٤]وفلك القمر على جوزهر، [٢٥٥]وجعل وصورة الكل بعضها في بعض والكل في الأطلس.

[٢٥٦]وجعل هذه الأفلاك مسكن الملائكة عليهم السلام[٢٥٧] ثم جعل الملائكة أولي أجنحة مثنى وثُلاث ورُباع، وجعل بعضهم الناظر إلى اللوح والنافخَ في الصور وهو إسرافيل عليه الصلاة السلام، وبعضهم النازل بالوحي على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمُلقي للإلهام والعلوم للأولياء والعلماء رضي الله عنهم وهو جبريل عليه السلام، وبعضهم الموكَّل على رزق العباد وهو مكائيل عليه السلام، وبعضهم الموكل على قبض الأرواح وهو عزرائيل عليه السلام، وبعضهم على سائر الأمور ويقال لهم ملائكة التسخير، وبعضهم كانوا مهيّمين مستغرقين في عظمة جلال الله وكبريائه وجماله، وبعضهم خزنة الجنة [٢٥٨]وبعضهم خزنة النار كرضوانَ عليه السلام ومالك عليه السلام ولكل منهم مقام معلوم في المعرفة والقرب والائتمار بأوامر الله سبحانه.

---

[٢٥٣] د – سوى الخارج

[٢٥٤] ح – وفلك القمر على جوزهر، وجعل وصورة الكل بعضَها في بعض والكُلَّ في الأطلس.

[٢٥٥] د – وجعل وصورة الكل بعضها في بعض والكل في الأطلس.

[٢٥٦] ح + هكذا

[٢٥٧] د – ثم جعل الملائكة أولي أجنحة مثنى وثُلاث ورُباع

[٢٥٨] د – وبعضهم خزنة النار كرضوانَ عليهم السلام ومالك عليه السلام

وكيف جعل سبحانه السبعةَ السيارة سوابحَ في أفلاكها وكيف جعل سبحانه هذه الكواكب السيارة وسائر النجوم علامات ليهتدوا بها في ظلمات البَرِّ والبحر إلى غير ذلك من الأمور التي أُلْجِئَ من أمعن النظر في ملكوتها أن يقول {ربنا ما خلقت هذا باطلا، سبحانك فقنا عذاب النار}[٢٥٩].

وأما التحتيات؛ فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها، وانظر إلى الأرض كيف سُطحت، وما فيها من المواليد الثلاثة، وانظر إلى الهواء والماء كيف كان كل منهما سببا للحياة. حتى تسمع عن بعض الثقات من المُوَرِّخين أن السمك مع السبح في الماء[٢٦٠] قد يحتاج إلى النَفَس بالهواء كما كنا نحتاج إلى الماء لدفع العطش مع كوننا لسنا مما يعيش في الماء.

وكذلك السمندر في النار قد يطلب الهواء كما كنا في الشتاء نطلب النار ونكب على المنقل. وانظر إلى النار كيف كيف كانت حارة لطيفة جدا إلى غير ذلك. وهذا النظر في هذه الأمور يرشدك إلى معرفة الربوبوية التي تحفظك أن تكون من {الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه}[٢٦١] وذلك العهد قد وقع منا إذ قال لنا ربنا {ألست بربكم}[٢٦٢] وأشهدنا على أنفسنا، فقلنا بلي. {ربنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً إنك أنت الوهاب}.[٢٦٣]

---

[٢٥٩] سورة آل عمران، الآية ١٩١.

[٢٦٠] د : في البحر

[٢٦١] سورة الرعد، الآية ٢٥.

[٢٦٢] سورة الأعراف، ١٧٢.

[٢٦٣] سورة آل عمران، الآية ٨.

وأما الكبري؛ فلِامتناع صدور هذه الأفعال المُتقَنة عن الموجِد بدون العلم بما أوجد. جلَّ وعلى[٢٦٤] وهو القادر البديع كما أشار إليه بقوله {ألا يعلم من خلق}[٢٦٥]؛ إذ كان الإيجاد متوقفا على القدرة المتوقفة على الإرادة المتوقفة على العلم بخلاف الكسب؛ إذ لا يتوقف الكسب على العلم بتفاصيل المكسوب بل يكفي فيه معرفةٌ ما، فافهم.

ولهذا يمتنع الخلق والإيجاد عن العبد لكونه ممكنا جسما كما سيجيئ، فلا يكون الموجِد الخالق للأشياء إلا مجرَّدا لطيفا حتي يصح كونه خبيرا باستعدادات الأعيان الثابتة وحقائق الأشياء فيعطي كل عين ما تطلبه، وجميع أحوال الموجودات المخلوقات ومراتبها[٢٦٦] فيفضل بعضها على بعض. وإلى هذا المعنى أشار بقوله تعالى{وهو اللطيف الخبير}[٢٦٧]فافهم.

ولما استدلت الفلاسفة على نفي علمه تعالى عن ذلك، عن الجزئيات المادية لكونها متغيرةً، لكونها زمانيةً أجاب عنه بقوله روح الله روحه:

وعلمه بالزمانيات قاطبةً ... لا يقتضي فيه توقيتا بأزمان

علمه تعالى بالزمانيات لا يقتضي كون علمه في الوقت والآن حتي يلزم التغير في علمه بالجزئيات. ويلزم أيضا كون الحوادث غيرَ معلومة له ـ تعالى عن ذلك ـ قبل وجودها. والتحقيق في هذه المسئلة والمُخلِّص من شبهة الفلاسفة وخدعة الهشام وأبي الهذيل ما قاله مولانا الخيالي قدس

[٢٦٤] د – جل وعلى

[٢٦٥] سورة الملك، الآية ١٤.

[٢٦٦] د - ومراتبها

[٢٦٧] سورة الملك، الآية ١٤.

الله روحَه في **حاشية شرح العقائد**[٢٦٨] من إثبات التعلُّقَين للعلم؛ التعلق القديم الأزلي والتعلق الحادث اللايزالي.

والتعلق القديم: كعلم المنجم بأن في ساعة كذا خسوفا وهذا مستمر قبلَه وبعدَه.

والتعلق اللايزالي: هو المشار إليه بقوله {حتي نعلم المجاهدين} لنعلم أي الحزبين فافهم فلا إشكال. ولما فرغ من بيان العلم شرع في لإرادة فقال:

وليس يخرج شيء عن إرادته   لكنه قطُّ لا يَرضَي بكفران

فلا يخرج المخالفات عن إرادته تعالى ولا حاجة إلى تقسيم الإرادة إلى القسرية الإلجائية وإلى التفويضية، وكون المخالفات مرادةً لله تعالى لا يقتضي الرضاء لها. وتحقيق أن المخالفات داخلة تحت إرادة الحق جل شأنه وأن الإرادة لا يقتضي الرضاء؛ لكونها تعلقت على نهج العلم وأن العلم تابع للمعلوم يقتضي بسطا في الكلام.

فيقال: إن علمه تعالى محيط بحقائق كل معلوم وعين كل ما يكون فأعطي[٢٦٩] كل شيء خلقه ما هو له؛ فإنه سبحانه يعلم أن زيدا مثلاً إذا وجد في الخارج تطلب عينه وحقيقته المخصوصة أن يكون مطيعا بإرادته، فأراد سبحانه كونه مطيعا ورضي عنه، وأن عمروا إذا وُجد في الخارج تطلب عينه وحقيقته المخصوصة أن يكون عاصيا بإرادته فأراد سبحانه كونه عاصيا ولم يرض سبحانه منه.

[٢٦٨] الخيالي، **الحاشية على شرح العقائد النسفية**، (مجموع الحواشي البهية في شرح العقائد النسفية)، ص ١٤٢.
[٢٦٩] د + ما تطلبه عينه فأعطى

ويؤيد ما قُرر لك بالآيتين؛ الأولى قوله تعالى{يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون}[٢٧٠]، والثانية قوله تعالى{بل بدا لهم ما كانوا يُخفُون من قبل، ولو رُدُّا لعادوا لما نُهُوا عنه}[٢٧١]. فمن هذه الحقيقة علمت أن الإرادة لا تستلزم الرضاء، وأن العلم والإرادة لا تستلزم الجبر، وأن العلم تابع للمعلوم إلا أن هذا الكلامَ مبنيٌّ على القول بالأعيان الثابتة وثبوت حقائق الأشياء وبكون الماهيات غيرَ مجعولة، فافهم.

فإن قلت: إذا اقتضت عين الشيء قبول أحد النقيضين دون الآخر، ولا يمكن أن يتخلف مقتضاه فما معنى قوله تعالى{فلو شاء لهداكم أجمعين}[٢٧٢]؟

يقال في الجواب: حرف "لو" لِامتناع الثاني لَامتناع الأول، فما شاء إلا ما هو الأمر عليه؛ فإن المشيئة تعلقت بمقتضى العلم، والعلم تابع للمعلوم. فالحق أعطى كلَّ ذي حق حقه كما سبق، فلله الحجة البالغة، فافهم. هكذا حقق بعض العلماء الوارثين. قال روح الله روحه:

ليس الإرادة أمرا وابتغاء بل		وصف يخصص مقدورا برجحان

[٢٧٠] سورة المؤمنون، الآية ٦١.

[٢٧١] سورة الانعام، الآية ٢٨.

[٢٧٢] سورة النحل، الآية ٩.

ذهب **أبو الهذيل**[٢٧٣] **والنظَّام**[٢٧٤] **والجاحظ**[٢٧٥] **ومحمود زين الدين الخوارزمي والبلخي** عفي تعالى عنهم إلى أنه لا معنى للإرادة والكراهة شاهدا او غائبا إلا الداعي والصارف. وهذا المعني يرجع إلى العلم؛ إذ لا معني للداعي والصارف في حقه تعالى إلا علمُه باشتمال الفعل على المصلحة والمفسدة فيُؤول كلامهم إلى كون الإرادة أمرا بما علم الله فيه المصلحة وابتغاء ذلك، فرد الناظم هذا القول بقوله" ليس الإرادة" إلخ. حاصله أن ذلك لا يكون مخصِّصا والإرادة صفة مخصِّصَة. وأما **أبو الحسين البصري** فجعلها زائدةً على العلم والاعتقادات والداعي والصارف لكن في الشاهد ونفاها في الغائب. وأنت تعلم أن هذا لا يُسمِنُ ولا يُغنِي من جوع فتأمل.

وقال الإمام قدس الله تعالى سره في نهاية العقول في بيان كون الإرادة صفةً زائدة على العلم والقدرة: "إن أفعاله تعالى مختصة بأوقات وصفات مع جواز حصولها في غير الأوقات أي في الوقت

---

[٢٧٣] أبو الهذيل محمد الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي، المعروف المتكلم؛ كان شيخَ البصريين في الاعتزال، ومن أكبر علمائهم، وهو صاحب مقالات في مذهبهم ومجالس ومناظرات، وهو مولى عبد القيس. وكان حسن الجدال قوي الحجة كثير الاستعمال للأدلة والإلزامات. كانت ولادة أبي الهذيل سنة إحدى - وقيل أربع، وقيل خمس وثلاثين ومائة. وتوفي سنة خمس وثلاثين ومائتين. من المصنفات المنسوبة إليه؛ الأصول الخمسة، صفات الله بالعدل ونفي القبيح، كتاب الاستطاعة. انظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان، م ٤، ص ٢٦٧، موسوعة الإسلام لوقف الديانة التركية، م ٢، ص ٣٣٢.

[٢٧٤] شيخ المعتزلة صاحب التصانيف أبو إسحاق إبراهيم بن سيار مولى آل الحارث بن عباد الضبعي البصري المتكلم. تكلم في القدر وانفرد بمسائل، وهو شيخ الجاحظ. ينسب إلى النظام ما يقارب أربعين كتابا، لكن لم تصل هذه الكتب إلى يومنا. من هذه الكتب؛ **كتاب الإنسان، كتاب المعرفة، كتاب النكت، كتاب التوحيد**. انظر، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، دار الحديث، م ٨، ص ٥٢٩، موسوعة الإسلام، م ٣٢، ص ٤٦٩.

[٢٧٥] أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي البصري المعروف بالجاحظ. العالم المشهور؛ صاحب التصانيف في كل فن، له مقالة في أصول الدين، وإليه تنتسب الفرقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة، وكان تلميذ أبي إسحاق إبراهيم بن سيار البلخي المعروف بالنظام المتكلم المشهور، وهو خال يموت بن المزرع - الآتي ذكره في حرف الياء إن شاء الله تعالى - ومن أحسن تصانيفه وأمتعها **كتاب الحيوان** فلقد جمع كل غريبة، وكذلك كتاب **البيان والتبين**. انظر، ابن خلكان، المرجع السابق، م ٣، ص ٤٧٠.

الآخر، وغير تلك الصفات بالصفات الأخرى؛ لأن الأوقات والمحال متساوية،فما يصح على بعضها وجب أن يصح على الكل، فاختصاصها بالأمور الجائزة يستدعي مخصصا وهو الإرادة". انتهى.

وهذا يرجع إلى ما نقله[٢٧٦] الشيخ الأكبر[٢٧٧] في الفتوحات قدس الله سره عن الشيخ أبي الحسن الأشعري رضي عنه ربه تعالى من: " أن الحادث الأول يجوز وجوده قبل الوقت الذي وجد فيه، ويجوز أيضا بعده لاستواء نسبة الأزمنة إليه فلا بد من مخصص يخصصه بالوقت الذي وجد فيه وهو الإرادة" انتهى ما نقل عنه.

ثم قال الشيخ الأكبر في أوائل **الفتوحات المكية** ما حاصله: " أن هذا الدليل[٢٧٨] فاسد من وجه؛ فإن[٢٧٩] الزمان عند الأشعري مقدَّر لا موجود. ولو قال الأشعري نسبة الممكنات[٢٨٠] إلى الوجود من حيث ما هو ممكن نسبة واحدة أو قال نسبة الوجود إلى الممكنات من حيث ما هو وجود نسبة واحدة، فاختصاص بعض الممكنات بالوجود دون البعض دليل المخصص وهو الإرادة لكان أولى" انتهى.

---

[٢٧٦] د : ما نقل عن الشيخ الأشعري رضي الله عنه

[٢٧٧] محمد بن علي بن محمد ابن العربي، أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف بمحيي الدين بن عربي، الملقب بالشيخ الأكبر: فيلسوف، من أئمة المتكلمين في كل علم. ولد في مرسية بالأندلس وانتقل إلى إشبيلية. وقام برحلة، فزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز. وأنكر عليه أهل الديار المصرية شطحات صدرت عنه، فعمل بعضهم على إراقة دمه، كما أريق دم الحلاج وأشباهه. وحبس، فسعى في خلاصه علي بن فتح البجائي (من أهل بجاية) فنجا. استقر في دمشق، فتوفي فيها. وهو، كما يقول الذهبي: قدوة القائلين بوحدة الوجود. له نحو أربعمائة كتاب ورسالة من جملتها؛ **الفتوحات المكية**، **فصوص الحكم**، **إنشاء الجداول والدوائر**، **عنقاء مغرب**. انظر، الزريكلي، الأعلام، م ٦، ص ٢٨١.

[٢٧٨] د : وإن كان صحيحا

[٢٧٩] د : إلا أن

[٢٨٠] من هنا إلى قوله "فاختصاص" العبارة مختلفة في نسخة د وهي ؛ نسبة الممكنات من حيث هو نسبة إلى الوجود نسبةُ واحدة، أو قال نسبة الوجود إلى الممكنات من حيث ما هو وجود نسبة واحدة.

[281]ولعل وجه الفساد؛ أن دليل الأشعري هذا يفيد تعلق التخصيص بالمُقدَّر الموهوم أي تخصيص الإرادة الشيء الموجود بالوقت الذي هو المقدر الموهوم هذا. وأما في نفس الأمر فالزمان موجود لتعلق الإرادة بتناهيه من جانب الأزل، فلا وقت قبل حدوث الحادث الأول حتي يُتخيل حدوثه قبل وقت حدوثه فافهم.

ولما بين كون الإرادة صفةً مرجحة أراد بيان كون ذات الإرادة كافية في ترجيح أحد المتساوِيَين فقال روح الله تعالى روحه وشكر سعيه:

يجوز ترجيح ما ينفي ترجحه   كفي إنائين من ماء لعطشان

يجوز للفاعل المختار ترجيح أحد المتساويين على الآخر بإرادته كما في إنائين من البلورا ومن الفغفوري موضوعَين مملوئَين من ماء واحد متساويين في المقدار والقرب من يمين الشارب والبعد عنه أو من يساره إن اعتاد ذلك يعني استعمال اليسار. فحينئذ هل يرجح العطشان أحدهما ويشرب منه أو يقول إرادتي غير كافية في ترجيح أحدهما ويموت[282] من الحرارة؟ فالعاقل لا يشك في ترجيح أحدهما فافهم.

ولما فرغ عن بيان صفة الإرادة شرع في بيان صفة الكلام فقال روح الله تعالى روحه:

كلامنا صفة نفسية فبها   نمتاز عن أخرس أو أعجم وحيوان

---

[281] من هنا إلى قوله "ولما بين" تغيرت العبارة في نسخة د وهي : ووجه الأولوية أن دليل الأشعري وإن صح في الحقيقة لكن الزمان مقدر لا موجود فلا يصلح للتحقيق عنده فافهم.

[282] الأصل- ويموت

فليس علما لشيء أو إرادته   لفرقهما باقتران عند وجدان

لا تقتضي خلق نفسي وكثرته   خلق اللغات كإنجيل وفرقان

الشرع ليس بفرع للكلام لما   يكفي لإثباته إعجاز قرآن

وليُعلم أن الناظم لو كان في عصرنا وشرح كلام نفسه لمَا أجاد فيه كما أجاد فيه الشارحان مولانا الخيالي والشيخ العرياني روح الله تعالى روحهما[٢٨٣].قال الناظم عليه رحمه الله تعالى:

ورؤية الله بالأبصار واقعة   للمؤمنين لكن لا لعُميان

إن قلت: كيف ترتبط[٢٨٤] هذه المسئلة بالمسئلة السابقة الكلامية؟ يقال لك: لمّا جوّز الأشعري رضي عنه ربه العلي سماعَ كلامه الأزلي بلا حرف ولا صوت ولا زمان ولا أين كانت هذه المسئلة شبيهة بمسئلة الرؤية[٢٨٥]؛ حيث جوزت الأشاعرة رؤية ذاته تعالى بلا كيف ولا مقابلة ولا زمان ولا أين، فلهذه المناسبة ذُكرت بعد الكلام فتبصّر.

وأنكرت المعتزلة رؤية الله تعالى بناء على أن الرؤية مشروطة بشرائط؛ من المقابلة، وكون المرئي في الجهة، واتصال الشعاء البَصَرِيّ ، والاعتدال في القرب والبعد ونحو ذلك. ولا شك في استحالة هذه الامور في حقه تعالى.

---

[٢٨٣] د + فعليك بشرحهما

[٢٨٤] ح : يربطة

[٢٨٥] ح + بلامين

ورُدَّ بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى من خلفه كما يرى من أمامه، وبأن الرائي في الحقيقة النفس[٢٨٦] الناطقة والبصر آلة لها، وبأن موسى عليه السلام بعد التجلي الطوري كان يري النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء.

وقوله " لا لعميان" مآله؛ لا يقع الرؤية[٢٨٧] [٢٨٨]للذين عميت قلوبهم إذ {لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور}[٢٨٩] ، إذ قال سبحانه{قد جاءكم بصائر من ربكم، فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها}[٢٩٠] [٢٩١]فكأن الناظم عَنى به المعتزلة المنكرين للرؤية فتبصّر.

واستدلت الأشاعرة على جواز رؤيته تعالى؛ بأن المصحح للرؤية مطلقا إما الحدوث أو الإمكان أو الوجود، والأول والثاني لا يصلح لذلك لكون مآلهما إلى[٢٩٢] السلب فتعين الثالث وهو مشترك بين الواجب والممكن. وأما التحيز المطلق فلا يصلح لأن يكون علةً مصححة للرؤية؛ إذ كان رجوعه في الحقيقة إلى السلب لكونه عبارة عن عدم قوة التجرد ولا نقض بالملموسية، إذِ المصحح لها ليس الوجود مطلقا[٢٩٣] بل وجود السطح فافهم.

---

[٢٨٦] في الأصل و في ح "النفس" والأصوب هو "للنفس"، والله أعلم.

[٢٨٧] في الأصل : لا تقع تجويز الرؤية

[٢٨٨] د + لعميان وهم الذين

[٢٨٩] سورة الحج، الآية ٤٦.

[٢٩٠] سورة الأنعام، الآية ١٠٤.

[٢٩١] د – الناظم عَني به المعتزلة المنكرين للرؤية فتبصّر

[٢٩٢] ح – إلى

[٢٩٣] د + كما قيل، وفي الهامش : مولانا الخيالي في حاشية شرح العقائد

واستدل أيضا بأن الرؤية ثابتة للروح ولهذا يكون الأمور البرهانية في هذه النشأة عيانية بعد المفارقة للأبدان كما قال الإمام[٢٩٤] رضي عنه الملك العلام في **المطالب العلية** في **بحث النتفاع بزيارة القبور**:

"فيمكن للإنسان أن يرى ما في الملكوت بلا مفارقة الروح عن[٢٩٥] البدن كما في أولياء الله اهل الكشف والعيان. [٢٩٦]كذلك يمكن لأهل الجنة أن يرونه تعالى بلا مفارقة أرواحهم عن أبدانهم بعين رؤوسهم بلا كيف ولا أين." فافهم.[٢٩٧]

واستُدِل أيضا بأن سؤال موسى عليه السلام الرؤية بقوله[٢٩٨] {أرني أنظر إليك}[٢٩٩]يدل على إمكان الرؤية؛ لعصمة الأنبياء عن عدم العلم بما يجوز في حقه تعالى وما لا يجوز. وحمل السؤال على تبكيت القوم وإلزامهم ارتكابُ التعسف، لكفاية قوله عليه السلام" لهم الرؤية متعة إن كانوا مؤمنين"[٣٠٠] وعدم قناعتهم بسؤاله عليه السلام أن كانوا كافرين فافهم.

---

[٢٩٤] وهو الفخر الرازي وقد سبق ترجمته.

[٢٩٥] د : من

[٢٩٦] د – كذلك يمكن لأهل الجنة أن يرونه تعالى بلا مفارقة أرواحهم عن أبدانهم بعين رؤوسهم بلا كيف ولا أين." فافهم

[٢٩٧] لم نجده في باب الانتفاع بزيارة القبور كما ذكره اللاله زاري. انظر، فخر الدين الرازي ، **المطالب العالية**، دار الكتاب العربي، م ٧، ص ٢٧٥ ـ ٢٧٨.

[٢٩٨] ح : بقول

[٢٩٩] سورة الأعراف، الآية ١٤٣.

[٣٠٠] لم نجده

واستُدِل أيضا على إمكان الرؤية؛ بأن تعليق الرؤية باستقرار الجبل في قوله تعالى {لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقرَّ مكانه فسوف تراني} يدل على الإمكان؛ إذ كان استقرار الجبل ممكنا في نفسه، [٣٠١]وقد علق سبحانه عليه الرئية،والمعلَّق على الممكن ممكنٌ. وقول صاحب التجريد:" وتعليق الرؤية باستقرار الجبل لا يدل على الإمكان" [٣٠٢] مع منع التعليل والحصر[٣٠٣] ليس بصواب، إذ المحال جمع الحركة والسكون في آن واحد، وحين قال سبحانه {انظر إلى الجبل} كان الجبل مستقرا، فلما تجلي ربه للجبل فنظر موسى عليه السلام إلى الجبل، جعله دكا. فلا جمع، فلا امتناع فافهم.

وأما الدليل على الوقوع فقوله تعالى{وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة}[٣٠٤] وقوله عليه السلام "سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر".[٣٠٥] واختلاف الصحابة في أنه صلى الله عليه وسلم هل رأي ربَّه ليلة المعراج بقلبه أو بعينه، إذ الاختلاف في الوصف يدل على الاتفاق في الأصل فافهم.

واستدلت المعتزلة عل نفيها من الوجوه النقلية بوجهين قويين في زعمهم:

---

[٣٠١] د – وقد علق سبحانه عليه الرئية،والمعلَّق على الممكن ممكنٌ

[٣٠٢] د – مع منع التعليل والحصر

[٣٠٣] ح – الحصر

[٣٠٤] سورة يونس، الآية ٢٦.

[٣٠٥] انظر، البخاري، **الجامع الصحيح**، دار طوق النجاة، م ١، ص ١١٥، الحديث ٥٥٤، مسلم، **الصحيح**، دار إحياء التراث العربي، م ١، ص ٤٣٩، الحديث ٦٣٣، الترمذي، **السنن**، دار الغرب الإسلامي، م ٤، ص ٢٧٠، الحديث ٢٥٥٤، أبو داود، **السنن**، المكتبة العصرية، م ٤، ص ٢٣٣، الحديث ٤٧٢٩.

الأول؛ قوله تعالى {يسئلك اهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرةً فأخذتهم الصاعقة}[٣٠٦]الآية. فلو كانت الرؤية جائزة لمَا عظَّمَ الأمر عليهم وشدَّدَ[٣٠٧].

والجواب أن التشديد إنما صح[٣٠٨] لهم لكون سؤالهم الرؤية منافيا للأدب مع الحق جل وعَز[٣٠٩]، لطلبهم منه تعالى ما يختص بمنصب أفضل[٣١٠] الرسل والأنبياء عليهم السلام أو لِعلْمه تعالى بأن طلبهم للعناد لا للاسترشاد.

والوجه الثاني قوله تعالى إخبارا عن موسى عليه السلام {رب أرني أنظر إليك قال لن تراني} و"لن" للنفي الأبدي والجواب بعد تسليم كون "لن" للنفي العام؛ أن قوله "لن تراني" يحتمل أن يكون مقابلا لقول موسى عليه السلام "أنظر إليك، فإن المعنى علي ما قال بعض المفسرين أرنى ذاتك إن ترني ذاتك أنظر اليك، لامقابلا لقوله أرني، إذ لو كان مقابلا لقوله "أرنى" لقيل في مقابلته "لن أُرِيَ"[٣١١]، ولم يقل سبحانه " لن أُرِي" بل قال "لن تراني" مقابلا لقوله "أنظر اليك" اذ كان موسى عليه السلام نسب النظر الى نفسه عليه السلام بصيغة المتكلم فنفاه سبحانه بقوله"لن تراني" يعني إنك لن تراني

---

٣٠٦ سورة النساء، الآية ١٥٣.

٣٠٧ د : وشدده

٣٠٨ د – إنما صح

٣٠٩ ح، د : على

٣١٠ ح، د – أفضل

٣١١ د + أو لن تنظر

بالنظر المنسوب إليك كسبا.[٣١٢] ونظير هذا قوله تعالى{وما رميت إذ رميت}[٣١٣]فكما أن الرمي من النبي عليه السلام نسبة إلى نفسه عليه السلام كسبا، وهي المُثبَتَة له صلى الله عليه وسلم بقوله " إذ رميت" ونسبة إليه تعالى خلقا وهي المنفية منه صلى الله عليه وسلم بقوله "وما رميت". فكذلك لا يبعد أن يكون رؤية موسى عليه السلام كذلك يعني أن لها نسبتين؛[٣١٤] نسبة إلى نفسه كسبا ونسبة إلى ربه خلقا.

ولا يلزم من نفي الرؤية[٣١٥] المنسوبة إليه عليه السلام بقوله "أنظر إليك" بقوله " لن تراني" نفيُ إمكان الرؤية المطلوبة له عليه السلام بقوله "ربِّ أرني" فتبصّر.[٣١٦]

[٣١٧]وأما الشرائط السابقة للرؤية من المقابلة، واتصال الشعاء، وكون المرئي في جهة وغير ذلك، فليست بشروط حقيقية تتوقف عليها صحة الرؤية عندنا، بل هي أمورعادية كما نبه عليه بقوله رحمه الله :

يرى الهوية لا من جوهريته　　　أو كونه عرضا أو سبق فقدان

هذا تفصيل لوقوع الرؤية في الجنة. أراد بالهوية الذات الإلهية، وكون الذات مرئيا للمؤمنين لا من كونه جوهرا ولا من كونه عرضا أو مسبوقا بفقدان[٣١٨]، لاستحالة كل ذلك عليه تعالى لاستغناء

---

[٣١٢] د + لتوقف الرؤية على معد لم توجدبعد، ولو رأيتني ما رأيتني إلا بإيجاد نظرك أي رأيتك وما يتوقف عليه رؤيتي فيك

[٣١٣] سورة الأنفال، الآية ١٧.

[٣١٤] في الأصل و ح – نسبتين

[٣١٥] ح + المكسوبة

[٣١٦] د : في الهامش : قوله فتبصر فيه تأمل فافهم.

[٣١٧] من هنا إلى بداية البيت التالي لا يوجد في نسخة د

[٣١٨] د : بالفقدان

الذات الإلهية عن جميع ذلك. فرد الناظم عليه الرحمة في المعني بهذا القول الطائفتَين المجسمة المعتزلة؛ إذ كانت المجسمة قائلة برؤيته تعالى من كونه جوهرا أو عراضا[٣١٩] لزُعمهم أنه جسمٌ ـ تعالى عن ذلك علوا كبيرا ـ .

وكانت المعتزلة منكرةً لرؤيته تعالى لتَوقُّف صحة الرؤية عندهم على المقابلة واتصال الشعاء وغير ذلك. وهذه الشروط لمّا كانت مستحيلة في حقه تعالى وجب نفيُ رؤيته تعالى عندهم[٣٢٠]. فأثبت الناظم رؤيته تعالى بدون تلك الشرائط وسلك طريق الاستقامة فافهم[٣٢١].

فإن قلت: المؤمنون إذا دخلوا الجنة ورأوا ربهم، هل يحصل لهم العلم بكونه تعالى أم لا؟ يقال لك[٣٢٢] في الجواب:

حقيقة الحق لم تعقل لعالَمِنا لكن ترددهم في دار رضوان

إنما قال "لم تُعقل" إشعارا بعجز العقل عن درك حقيقته تعالى؛ إذ كانت نهاية غايات إدراكه معرفته تعالى من جهة السلب والإضافات، وأما من جهة إثبات الكنه والحقيقة[٣٢٣] فلا. فبهذا عُلم أنه لا حاجة إلى أن تستدل[٣٢٤] على امتناع العلم بكنهه تعالى بالدليل العقلي بأن العلم بالكنه يتوقف على كون الذات محدودا بالحد الحقيقي وإلا فالرسم والحد الاسمي. واللفظي لا يفيد الحقيقةَ مطلاقا فيلزم

---

[٣١٩] د – لزُعمهم أنه جسمٌ ـ تعالى عن ذلك علوا كبيرا ـ

[٣٢٠] د – عندهم

[٣٢١] ح + ذلك

[٣٢٢] د – لك

[٣٢٣] د : الحقيقة والكنه

[٣٢٤] ح، د : يستدل

كون الحقيقة الإلهية مركَّبةً من الجنس والفصل بالتركيب العقلي، والتركيب مطلاقا عقليا كان أو خارجيا ينافي الوجوب الذاتي. حتى يرد عليه الاعتراض بأنه لانسلم أن الرسم لا يفيد الحقيقة مطلقا، فلِم لا يجوز حصول العلم بالحقيقة بالرسم في بعض الأحيان؟[٣٢٥] فافهم.

وأما بعد الانتقال من هذه النشأة إلى النشأة الأخرى، واستمداد الأرواح من حضرت الوهاب، واتصالها بعالم القدس، فبعد دخول الجنة يحصل لهم طَورٌ آخرُ فوق طور العقل وتكون نسبة طور العقل إلى ذلك الطور؛ كطور الحواس بالنسبة إلى طور العقل وكمرتبة العقل الهيولاني[٣٢٦] بالنسبة إلى مرتبة العقل المستفاد.[٣٢٧] فبذلك الطور الآخِر هل يحصل لهم العلم[٣٢٨] بكنهه تعالى من حهة الإثبات عند رؤية الذات[٣٢٩] أم لا؟ فمُختَلف فيه. ولذا قال بعضهم إن الله تعالى قادر على أن يخلق للعبد طورا به يدرك أمورا لم يكن مدرِكا لها بطور العقل. فإن كلا من الطورَين لكونهما من أوصاف الإنسان مخلوق[٣٣٠] لله تعالى كما أشار الناظم إليه بقوله روحه الله تعالى روحه:

---

[٣٢٥] في الهامش: بناء على قاعدة الأشعري من أن فيضان النتيجة عن النظر الصحيح بجَرْيِ عادته تعالى، لاستناد الأشياء إليه ابتداء. فافهم.

[٣٢٦] **العقل الهيولاني**: هو الاستعداد المحض لإدراك المعقولات، وهي قوة محضة خالية عن الفعل كما للأطفال، وإنما نسب إلى الهيولي؛ لأن النفس في هذه المرتبة تشبه الهيولي الأولى الخالية في حد ذاتها من الصور كلها. انظر، الجرجاني، **المرجع السابق**، ص ١٥٢، التهانوي، **المرجع السابق**، م ٢، ص ١١٩٧.

[٣٢٧] **العقل المستفاد**: هو أن يحصّل النظريات مشاهدة سمّيت به لاستفادتها من العقل الفعّال، انظر، الجرجاني، **المرجع السابق**، ص ١٥٢، التهانوي، **المرجع السابق**، م ٢، ص ١١٩٨.

[٣٢٨] د : إدراك

[٣٢٩] د +الإلهية

[٣٣٠] في الهامش : على ما قاله الإمام الغزالي قدس الله سره في كتاب **المنقذ من الضلال**

الله خالق أفعال العباد وما يُظن توليده من أفعال إنسان

[٣٣١]لا يقال: قد اعترف بعض علمائكم وهو **صدر الشريعة في تعديل العلوم**: "إن حقيقة الإرادة الجزئية والمشيئة إنما هي من التجلي الإلهي بصفة المشيئة للعبد {وما تشاؤون إلا أن يشاء الله}[٣٣٢] فلِم لا يجوز كون العبد خالقا لأفعاله بأن يكون تجليا إلهيا للعبد بصفة التكوين، فكما ثبت للعبد من ذلك التجلي الإرادي الإرادةُ الجزئية فليثبت للعبد من التجلي التكويني خلقُ أفعاله؟

لأنا نقول: حقيقة الإيجاد والخلق مطلقا[٣٣٣] من العبد ممتنع، وإنما يمتنع حقيقة الإيجاد والخلق مطلقا من العبد لإمكانه أي لإمكان العبد[٣٣٤]؛ إذ لا تأثير للممكن إيجادا ولعدم علمه بما صدر منه [٣٣٥]لكونه مفتقرا في وجوده وحدوثه[٣٣٦] إلى الحق تعالى، فلا يكون العبد مفيدا لوجوده[٣٣٧] ولوجود غيره من الحقائق الممكنة لما مرَّ. ولذا وصف سبحانه ذاته تعالى بقوله {وهو الخلاق العليم}[٣٣٨] [٣٣٩]إشعارا بأنه لا يُتصور الخلق والإيجاد إلا عن عليم حكيم، بخلاف الكسب من العبد بإرادته الجزئية

---

[٣٣١] من هنا إلى قوله "لإمكانه أي لإمكان العبد " ليست موجودة في نسخة د

[٣٣٢] سورة الإنسان، الآية ٣٠.

[٣٣٣] في الهامش : جوهرا كان أو عرضا.

[٣٣٤] د - أي لإمكان العبد

[٣٣٥] د + و

[٣٣٦] د - وحدوثه

[٣٣٧] د - لوجوده

[٣٣٨] سورة يس، الآية ٨١.

[٣٣٩] من هنا إلى قوله " كما أشار الحق" ليست موجودة في نسخة د

الثابتة للعبد بالتجلي الإلهي له بصفة الإرادة؛ إذ لا يتوقف المكسوب على علم كاسبه بتفاصيله بل يكفي فيه معرفة ما.

إذا كان شأن الإرادة الترجيح وشان التكوين التأثير في إفادة الوجود لعين الممكن الذاتي، فإذا يمتنع عن الممكن إفادة الوجود كما أشار الحق جل شأنه إلى امتناع صدور الخلق عن الممكن الذي لا يصح[٣٤٠] أن يوجد بالنظر إلى ذاته لكونه هالكا أزلا وأبدا بقوله {كل شيء هالك إلا وجهه}[٣٤١] [٣٤٢] [٣٤٣]ووجه الإشارة أن ما كان بالنظر إلى ذاته هالكا، كيف يصح صدور الخلق ولإيجاد عنه؟ إذ الإيجاد فرع الوجود، وإنما وجوده بالنظر إلى موجِده وقَيّومه الذي هو الخلاق الباقي لا بالنظر إلى ذاته. فكان العبد فقيرا إليه وبإيجاده موجودا كما أشار إليه البيضاوي بقوله إلا وجه الله في قوله {كل من عليها فان ويبقي وجه ربك}حيث قال:

" ولو استقرئت[٣٤٤] جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتَها بأسرها فانية إلا وجه الله أي الوجه الذي يلي جهته[٣٤٥]" والحاصل أن الإيجاد عن الممكن الذاتي ممتنع لإمكانه ولعدم علمه لكونه فقيرا. فما يُظن توليده من فعل العبد كحركة المفتاح التابعة لحركة اليد فموجده وخالقه هو الله

---

[٣٤٠] ح : لا يصلح

[٣٤١] سورة القصص، الآية ٨٨.

[٣٤٢] د + وإلى وجوب وجوده وقيوميته بقوله {إلا وجهه}

[٣٤٣] من هنا إلى قوله " فما يظن توليده" ليست موجودة في نسخة د

[٣٤٤] ح : استقربت

[٣٤٥] انظر، البيضاوي، المرجع السابق، م ٥، ص ١٧٢.

تعالى فإنه تعالى يخلق الأشياء ويفعلها عند الأسباب العادية لابالأسباب، وهذا عند الشيخ أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه فمن أراد التفصيل فعليه بالمطولات فافهم.

فإن قيل: المعتزلة في هذه المسألة قد[٣٤٦] ضلوا وأضلوا كثيرا مع عُلُوِّ كَعْبِهم في العلوم[٣٤٧]، فبم لم يهتدوا إلى سواء السبيل بعلومهم؟ يقال في الجواب: العلمُ ما لم ينضم إليه التوفيق من الله تعالى لا يكون هاديا، بل الله سبحانه وتعالى

هاد مضل حقيقي وإن نُسبا   على المجاز إلى رُسل وشيطان

والتحقيق [٣٤٨]في الشروح فعليك بها.

الحسن القبح شرعيان لكنا   نقول بالعقل أيضا قد ينالان

تنقيح هذه في **التوضيح** وتوضيحه في **التلويح**. قال روح الله روحه :

وللعباد اختيار وهو كسبهم   فيوصفون بطاعة[٣٤٩] أو بعصيان

---

[٣٤٦] د – قد

[٣٤٧] د + حيث اعتقدوا أن العبد خالق لأفعاله

[٣٤٨] ح + في هذه المسألة

[٣٤٩] د : بطوع

إن قلت: كيف جعل الإمام صدر الشريعة قدس الله روحه في المقدمات من التوضيح الإرادة الجزئية التي هي صفة ثبوتية للعبد من قبيل لا موجود ولا معدوم؛ إذ لا تكون الصفة الثبوتية إلا موجودة[٣٥٠] ؟ قلنا: الكلام فيه مبسوط في التلويح فليطالَع ثمة فافهم.[٣٥١]

وأما اختلاف الأئمة في أن فعل العبد هل هو بقدرة الله إيجادا فقط[٣٥٢]، أو بقدرة العبد فقط، أو بمجموعهما، أو بقدرة الله عز وجل أصلا وبقدرة العبد وصفا؟ فمذكور في الكتب الكلامية فليراجع ثمة.

لا دخل للعبد في حكم الإله وفي تجويز تعليله في البعض[٣٥٣] قولان

قد أُفيد[٣٥٤] أنه استدل بعضهم على نفي التعليل عن فعله تعالى بأنه؛ لو كان بالتعليل لزم استكماله تعالى بالغير، إذ كانت العلة الغائية هي الباعثة المقدمة على الفعل.

ويُرد عليه أنه إن أُريد بالاستكمال بالغير الاسكمال من الغير فهو محال وليس بلازم. وإن أُريد بالاسكمال بالغير[٣٥٥] الاتصاف بالغير؛ اختصاصَ الناعت بالمنعوت فلا نسلم استحالته. كيف وهو

---

[٣٥٠] د : للشيئ إلا موجودا

[٣٥١] التفتازاني، **شرح التلويح على التوضيح**، مكتبة الصيح، ص ٣٥٧-٣٦٢.

[٣٥٢] د – فقط

[٣٥٣] ح : بعض

[٣٥٤] د : في الهامش : أستاذُ الأستاذِ المُحَقِّقِ السيد الكَفَوِيّ يوسفُ القَمَاقِيُّ رَوَّحَ اللّهُ روحَهُما

[٣٥٥] ح : – بالغير

تعالى متصف بالصفات الكمالية[٣٥٦] انتهى الإفادة ملخصا. وانت خبير بأن هذا إنما يلائم لمن[٣٥٧] يقول بغيرية الصفات، [٣٥٨]لا لمن يقول بلا هو ولا غيره، فليُفهم.

ولا يكلف العبد فوق طاعته لكنه لا لعقل عاجز عان

قال بعض المحققين[٣٥٩]: مراتب التكليف بما لا يطاق ثلاث[٣٦٠]؛

الأولى: التكليف[٣٦١] بما يمتنع عقلا كجمع الضدين،

والثانية: بما يمكن في نفسه ولا يمكن من العبد كخلق الجسم،

والثالثة: بما يمكن في نفسه ويمكن من العبد أيضا، وإنما امتنع بناء على تعلق علمه تعالى وإرادته بخلافه[٣٦٢].

فاتكليف بالمرتبة الأولى غير جائز، وبالمرتبة الثانية جائز وليس بواقع، وبالمرتبة الثالثة جائز مطلقا. واعتُرِض بوقوع التكليف بالمرتبة الأولى فضلا عن الجواز بأن أبا لهب مكلف بالإيمان بلا شبهة، ولا يتحقق إيمانه إلا بتصديق أنه لا يؤمن؛ إذ من جملة ما جاء به الرسول عليه السلام أنه لا

---

[٣٥٦] د – الكمالية

[٣٥٧] د : يَرد على من

[٣٥٨] د : واما على من قال لا هو ولا غيره، لا.

[٣٥٩] د : في الهامش : مولانا الخيالي قدس الله روحه

[٣٦٠] "ثلاث" شطب عليه في الأصل

[٣٦١] د – التكليف ب

[٣٦٢] د : بخلاف ذلك

يؤمن، إذ يجب عليه تصديق جميع ما جاء به الرسول عليه السلام، وعدم العلم بالعلم لا يُجدي نفعا. والإيمان لا يختلف بالأشخاص.

والجواب القريب من الصواب؛ أنه ليس في سورة تبت ما يدل على كفره صريحا؛ لجواز ان يكون دخوله في النار من جهة عصيانه، والدخول لا يستلزم الخلود. وأما الأخبار الدالة على عدم إيمانه، فلم لا يجوز ورودها بعد هلاك أبي لهب؟ ومن ادعى القبلية فعليه البيان، إذ لا يجب على المانع إثبات شيء أصلا.

ولو سُلم فلم لا يجوز أن لا يسمع ذلك الخبرَ إلى الهلاك[٣٦٣] فلا يمتنع التكلبف بالإيمان في حقه. [٣٦٤]هذا ولك أن تقول فيه: إنه من حيث كونه إنسانا عاقلا، إيمانه ممكن في ذاته؛ إذ هو شخص جزئي من نوع الإنسان فيمكن إيمانه، إذ ما يمكن لفرد من النوع يمكن لفرد آخر منه. وإنما يمتنع بناء على أن علم الله تعالى وإرادته تعلق بخلافه، ولم يتعلق بإيمانه، فأخبر سبحانه بأنه لا يؤمن على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم فيكون إيمانه ممتنعا لا ذاتا، بل لِما ذُكر فيرجع هذا إلى المرتبة الثالثة فلا إشكال فافهم.

ثم ليُعلم أن انتفاء التكليف بما ليس في الوسع ليس عندنا بناء على كون العقل عاجزا مأسورا بقيود الشُبه والأوهام، بل[٣٦٥] حصل لنا العلمُ بذلك من قوله {لا يكلف الله نفسا إلا وسعها}[٣٦٦]. فإن

---

[٣٦٣] د - ولو سُلم فلم لا يجوز أن لا يسمع ذلك الخبرَ إلى الهلاك

[٣٦٤] من هنا إلى قوله "فافهم" ليست موجودة في نسخة د

[٣٦٥] د + إنما

[٣٦٦] سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

قيل: فينبغي ألا يكلَّف العبد بالمرتبة الثالثة أيضا؛ إذ فيه تعريض[٣٦٧] الحساب والعقاب، والأصلح له أن لا يكلَّف بذلك وقد تُرك في حقه ذلك، فكيف يجوز له تعالى تركُ الأصلح في حق العبد مع وجوبه عليه سبحانه[٣٦٨]؟

يقال في الجواب:

لو كان الأصلح فرضا ما ابتلى أحدٌ بالكفر والفقر ولبلوى وأحزان

اتفقت المعتزلة البصرية[٣٦٩][٣٧٠] على أن إصلاح العبد بأن يعطي الله العبد ماهو الأصلح له في الدين والدنيا[٣٧١] واجب عليه ـ تعالى عن ذلك ـ فإن أرادوا بالوجوب إعطاء الأصلح للعبد بطريق الإيجاب فهو ينافي الاختيار، وإن أرادوا به أنه تعالى أوجب على نفسه، فإن أرادوا به أنه وعد عبده بلطفه وإرادته[٣٧٢] فأعد له ما شاء من النِعم[٣٧٣]، فهو مسلم لكن لا معنى للوجوب عليه، وإن أرادوا به

---

[٣٦٧] د : تعريض العبد للعقاب

[٣٦٨] د – مع وجوبه عليه سبحانه

[٣٦٩] هذه مدرسة تنتمي إليها أشهر متكلمي المعتزلة مثل واصل بن عطاء وعمر بن عبيد وأبي الهذيل العلاف والنظام والجاحظ والجبائيان والقاضي عبد الجبار. انظر، **موسوعة الإسلام**، م ٣١، ص ٣٩٣.

[٣٧٠] د - البصرية

[٣٧١] د – في الدين والدنيا

[٣٧٢] ح : فأرادته

[٣٧٣] د – ما شاء من النعم

أنه[٣٧٤] ترك الأصلح بُخل[٣٧٥] لأنه ليس بحسن فيكون فعل الأصلح واجبا عقليا عليه تعالى فلا نسلّم أنه بخل كيف والحسن والقبح شرعيان وليسا بعقليَّيَن [٣٧٦]ولا معنى للواجب الشرعي عليه تعالى.[٣٧٧]

وأيضا نقول: لو كان الأصلح واجبا عليه تعالى لَفَعل في كل العباد وخلقهم في الجنة وما أخرجهم إلى دار التكليف. وإلى هذا أشار الناظم بقوله "لو كان الأصلح فرضا" إلخ. بل الله سبحانه يفعل ما يشاء بقدرته ويحكم ما يريد بعزته وقد أعطى كل عين ما تطلبه كما سبق فافهم. قال:

الرزق ما سبق للحيوان يأكله ... محرما أو مباحا فهو قسمان

ولا يقدَّم حيوان على أجله ... وإن تقطع في إيناب غيلان

انظر إلى الشروح تجد تحقيق المسئلتين فيها. ولما كانت عند الحكماء[٣٧٨] أن العلويات مؤثرة في الحوادث الكائنة في السفل لكون العلويات عللا مؤثرة في السفليات، وكون[٣٧٩] السفليات أي الحوادث الكائنة في السفل[٣٨٠] معلولة للعلويات بمعنى أن الحوادث إنما كانت منفعلة من العلل العالية؛

---

[٣٧٤] ح، د : أن

[٣٧٥] د- لأنه .... فلا

[٣٧٦] د- ولا معنى للواجب الشرعي عليه تعالى

[٣٧٧] من هنا إلى قوله " وقد أعطى" ليست موجودة في نسخة د

[٣٧٨] من هنا إلى قوله "رد ذلك بقوله" تغيرت العبارة وهي : إنه إن كان طالع المولود بالقتران المريخ في الأسد مع عطارد يكون هلاك ذلك المولود بأجله الاخترامية ويكون سبب موته افتراس الأسد، وإن كان طالعه السنبلة مع استقامة المشترى في بيته والشمس في الأوج والزحل في بيت المشترى أو الزهرة يكون المولود مرزوقا ذا سعة عظيمة. فإن كان زحل في الرأس يدوم سعته، وإن كان غير ذلك لا يدوم. وكذا في سائر الأنظار؛ فعللوا الحوادث الكائنة بالعلويات ووقعوا في الخلالات واعتقدوا في العلويات تأثيرها في السفليات.

[٣٧٩] ح : أن

[٣٨٠] ح: السفلى

في[٣٨١] الأوضاع الفلكية والاتصالات والأنظار الكوكبية[٣٨٢] واعتقدوا في تأثير العلويات في السفليات للُّزوم والإيجاب. ردَّ ذلك بقوله روح الله روحه:

للعلو بالسفل ربط لا بتعليل		إذ قد يدور مدار بل المضافان

[٣٨٣]يعني أن بينهما ارتباطا أي بين العلويات والسفليات، وذلك الارتباط إما ارتباط إضافي إلى إرادته وقدرته تعالى، وإما ارتباط عقلي وذلك محال؛ إذ ليس بارتباط عقلي ارتباطَ المعلول بالعلة[٣٨٤] لبطلان الإيجاب عندنا. بل هو ارتباط إضافي إلى قدرته تعالى يجري على[٣٨٥] عادته تعالى أن ينفعل السفليات عند ذلك[٣٨٦] في الأكثر[٣٨٧]؛ إذ قد يدور مدار بأن يمطر السحاب قبل وصول القمر إلى البروج المائية مثلا، وهذا التقدم يدل على أن علة المطر إرادته تعالى لا وصول القمر إلى البروج المائية لاستحالة تقدم المعلول عن علته فافهم.

---

[٣٨١] ح : من

[٣٨٢] في الأصل، الكواكبية

[٣٨٣] من هنا إلى قوله "ليس" تغيرت العبارة وهي : تصويره أن العلويات من أنظار الكواكب السيارة بعضها إلى البعض، ومن مجاندة بعضها بالرأس والذنب وببعض الثوابت، ومن اختلافات أوضاعها وغير ذلك ربط بالحوادث الكائنة في السفل، وذلك الارتباط...

[٣٨٤] من هنا إلى "بل" ليست موجودة في الأصل و في نسخة د.

[٣٨٥] الأصل، د - على

[٣٨٦] د + لا بذلك

[٣٨٧] الأصل - في الأكثر

و إنما أخَّر الناظم هذا البيت لدلالتها على بطلان قول[٣٨٨] البراهمة النافين للنبوة ـ قاتلهم الله تعالى أنى يؤفكون ـ من أنه يجوز أن يحصل في ألف ألف[٣٨٩] دورة وضعٌ غريب فلكي، فيظهر من ذلك شخص يتصرف في العناصر ويخبر عن الغيوب إلى غير ذلك من الترهات.

ثم بيَّن أن كون بعض خواص البشر نبيا رسولا إنما هو بإرسال القادر المختار بخلق المعجزات التصديقية على أيديهم عليهم الصلاة والسلام. فقال روح الله روحه:

الله أرسل فينا بالهدى رُسلا   مبشرين بآيات وتبيان

فليعلم أن الحق سبحانه إنما أوجد الخلق ليعبدوه ويعرفوه ويوحدوه كما قال{وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}[٣٩٠][٣٩١]وهذه المعرفة والتوحيد والعبادة لا تحصل إلا بقوام البنية وصحة المزاج وهما يتوقفان على تحصيل الأسباب الستة الضرورية وتحصيل بعضها يتوقف على المؤانسة والتمدن بالطبع؛ وحيث كانت القوة الغضبية والشهوية على سبيل الإفراط[٣٩٢] المركوزتين في طبائع أكثرهم لم تحصل المؤانسة أبدا؛ إذ كان إفراط هاتين القوتين[٣٩٣] مؤديا إلى سفك الدماء والقتل العام المؤدي إلى انقراض النسل الإنساني، وانطواء بساط الخلافة البشرية المؤدي إلى انطفاء نور التوحيد

---

[٣٨٨] د : لإبطال زعم

[٣٨٩] د + ألف

[٣٩٠] سورة الذاريات، الآية ٥٦.

[٣٩١] د – كما قال { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}

[٣٩٢] د – على سبيل الإفراط

[٣٩٣] في الأصل و نسخة د : إذ كانت هاتان القوتان

والعرفان، فمَسَّت حاجة العباد إلى من ينتظم به معاشهم ومعادهم في حكم العقول، ويَتم به أمورهم.
لهذا قال عليه الرحمة :

لحاجة الخلق في حكم العقول إلى متمم وكذا في علم أديان

أي لما علم الله تعالى حاجة الناس[٣٩٤]، حاجة الخلق في حكم عقولهم وفي علم أديانهم إلى من يتمم[٣٩٥] أمر معاشهم، ويمهد لهم بساط سعاداتهم اصطفى الله تعالى من الناس رسلا وأنبياء. ولما توهمت البراهمة أن حصول النظام بدون الانبياء عليهم السلام ممكن، أشار إلى ردِّ توهمهم بقوله رحمه الله تعالى :

لولاه لم ينتظم أمر المعاش ولا أمر المعاد لإيثار وعدوان

سبق معناه فما دام الحسد والشهوة والكبر والغضب مركوزا في جبلية أكثر الإنسان المشار إليه بقوله "لإيثار وعدوان" يحتاج الإنسان في معاشه ومعاده إلى من يتمم أمرهم. ومن هذه الحقيقة قالت الملائكة {أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء}[٣٩٦]لأنهم لما رأوا أن الإنسان مركب من العناصر المتضادة فهموا أن فيهم من يفسد فيها ويسفك الدماء؛ إذ التركب منها يقتضي أخلاقا تؤديهم إلى المشاجرة والمحاورة والمقاتلة فافهم.

---

[٣٩٤] د – حاجة الناس
[٣٩٥] د : يتم به
[٣٩٦] سورة البقرة، الآية ٣٠.

ولما بين احتياج البشر إلى النبي عليه السلام أراد أن يشير إلى أن أفضل الأنبياء والرسل عليهم السلام لا يكون إلا من كانت حقيقته محمدية وذاته السَّنِية [٣٩٧]موصوفة بالتحقق بالأخلاق الحميدة كلها[٣٩٨]، وإنما هو صلى الله عليه وسلم:

محمد أفضل الرسل الذي سمعوا		تصديقه من جمادات وذئبان

فعلى هذا يكون مراد الناظم بهذا الكلام إثبات أنه عليه السلام أفضل الرسل والأنبياء عليهم السلام، لا إثبات نبوته فقط[٣٩٩] كما قيل. ودليل الناظم على هذا الدعوى مجموع قوله "الذي سمعوا" إلى قوله "الأنبياء بريؤون" إلخ. فمآل[٤٠٠] قوله؛ أن أفضليته صلى الله عليه وسلم ثابتة لوجوه؛

الوجه الاول: أكملية[٤٠١] عزمه وصدقه وعلمه وعقله[٤٠٢] وأمانته وزكائه وقوة رأيه وسخائه وجوده وإيثاره وحلمه[٤٠٣] وعفوه وكرمه[٤٠٤] ونداه ورحمه وحماه[٤٠٥] وسائر الملكات القدسية والصفات الحميدة التي[٤٠٦] يجزم العقل بأن المتحقق بجميعها لا يكون إلا من كانت حقيقته محمدية. وكان هو

---

[٣٩٧] ح : + أحمدية
[٣٩٨] د - كلها
[٣٩٩] ح، د : لا إثبات كونه رسولا فقط
[٤٠٠] في الهامش : في أكملة أخلاقه صلى الله عليه وسلم
[٤٠١] د - أكملية
[٤٠٢] د : وحكمه
[٤٠٣] د - وحمله
[٤٠٤] د + ورأفته
[٤٠٥] د - ونداه ورحمه وحماه
[٤٠٦] د : كانت كل واحدة في نهاية الكمال

صلى الله عليه وسلم مختصا بمقام المحبة بأن يتفرع وجود نوره أولا على المحبة الإلهية بحكم قوله "فأحببت أن أُعرف"، فخلقت الخلق فكل من كان شأنه الشريف هذا فهو أفضل الرسل.

أما الصغرى؛ فلما أشار إليه بقوله محمد، فإن هذا الاسم مستجمع لجميع الكمالات البشرية والملكات المقدسة الإمكانية[٤٠٧] التي لامرتبة فوقها في الأبدعية. فمسمى هذا الاسم على الحقيقة ليس إلا هو صلى الله عليه وسلم؛ فإنه الواسطة بين الحضرة الإلهية وبين العوالم، فهو الحجاب الأعظم القائم بين يدي الله عز وجل فليس في الوجود أبدع منه صلى الله عليه وسلم.

أشار إلى[٤٠٨] ذلك الإمام أبو حامد حجة الإسلام بقوله "ليس في الإمكان أبدع من هذا العالم[٤٠٩]" هذا في باب التوكل من الإحياء،[٤١٠] وفي قوله الآخَر "مما كان". ولهذا قال "محمد أفضل الرسل الذي سمعوا" ولم يقل نبينا أو رسولنا أفضل الرسل فافهم. ولذا قيل في هذا الباب[٤١١]: العاقل البصير لا يحتاج في معرفة أفضليته صلى الله عليه وسلم إلى دليل سِوَى ذاته القدسية متصفا متحققا بالأخلاق السنية الحميدة، وهذا دليل أرباب البصائر.

---

[٤٠٧] من هنا إلى قوله "ولهذا قال" ليست موجودة في نسخة د

[٤٠٨] ح : وإليه أشار

[٤٠٩] الأصل - هذا في باب التوكل من الإحياء، وفي قوله الآخَر

[٤١٠] اللفظ في الإحياء من كتاب التوكل: ليس في الإمكان أصلا أحسن منه ولا أكمل ولا أتم. انظر، الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، م ٤، ص ٢٥٨.

[٤١١] د – في هذا الباب

وأما الكبرى: فلأن كل من كان شأنه الشريف هذا[٤١٢]، وحقيقة نوره واسطة بين الحضرة الإلهية وبين العوالم في وصول الفيض من الله تعالى إلى العالم[٤١٣] كان أعلى درجة؛ وهي درجة المحبة والقرب والتوسط بين الحضرة الإلهية وبين العوالم. وليس فضل الأنبياء والرسل بعضهم على بعض إلا بمثل هذه الدرجات، قال تعال{تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض، منهم من كلم اللهُ ورفع بعضهم درجات}[٤١٤] لعله يشير بهذا إلى رفعة درجات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فافهم الإشارة.

الوجه الثاني: أكملية معجزاته صلى الله عليه وسلم وأشمليتها وعمومها، فإن معجزاته صلى الله عليه وسلم كما هي جارية في العناصر، كذلك[٤١٥] جارية في الفلكيات لشقه قمرا إذا سألوه، وخرق السماء ليلة المعراج. ولا شك أن عموم المعجزات وأشمليتها للعناصر والسمويات يدل على أكمليتها وهي تدل على[٤١٦] أفضلية من ظهرت تلك المعجزات على يده صلى الله عليه وسلم.

فإن قال قائل: فما تقول في قول **البوصِرِيّ** روح الله روحه في القصيدة البرأة:

لو ناسبت قدره آياته عظما   أحيى اسمه حين يدعى دارس الرمم[٤١٧]

---

[٤١٢] ح – هذا

[٤١٣] من هنا إلى قوله " الوجه الثاني" ليست موجودة في نسخة د

[٤١٤] سورة البقرة، الآية ٢٥٣.

[٤١٥] د – كذلك

[٤١٦] د – أكمليتها وهي تدل على

[٤١٧] الإمام البوصري، قصيدة البردة مع مختصر شرح الإمام البيجوري، مكتبة الصفا، ص ١١.

يقال في الجواب: كلامه قدس سره في نسبة معجزاته إلى قدره العَلي، والكلام ههنا في نسبة معجزاته إلى سائر معجزات الأنبياء[٤١٨] عليهم السلام فلا إشكال فافهم وتبصر.

الوجه الثالث: الاستدلا في دوام معجزاته صلى الله عليه وسلم وبقاؤها بدوام الآيات مع عِظَمها، وبقاء المعجزات[٤١٩] على أفضليته صلى الله عليه وسلم، أما الدوام والعظام والبقاء؛ فالقرآن نظما ومعنى، بلاغة وفصاحة، ظاهرا وباطنا.

وكرامات الاولياء رضي الله عنهم، فإنها معجزات لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ إذ ليس الولي إلا التابع المحمدي، إذ كانت تلك الخوارق بالنسبة إلى أنفسهم كراماتٌ، وبالنسبة إلى ظهورها عن التابع المحمدي معجزاتٌ للنبي صلى الله عليه وسلم، إذ ليس الولي إلا مظهر تصرف النبي ولهذا كانت علامتهم المتابعة[٤٢٠].

قال العلامة التفتازاني[٤٢١] تغمده الله برحمته ورضوانه في شرح المقاصد: "إن الولاية باطن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فظاهر نبوة التشريع مختومة بمحمد صلى الله عليه وسلم، وباطنها الذي

---

[٤١٨] د : المعجزات

[٤١٩] د : الاستدلال بدوام الآيات وبقاء المعجزات

[٤٢٠] د – ولهذه كانت علامتَهم المتابعةُ

[٤٢١] الإِمَام الْعلامة. عَالم بالنحو والتصريف والمعاني وَالْبيان والأصلين والمنطق وغيرهَا، شَافِعِيّ. قَالَ ابْن حجر: ولد سنة ثِنْتَيْ عشرَة وَسَبْعمائة، وَأخذ عَن القطب والعضد، وَتقدم فِي الْفُنُون، واشتهر ذكره، وطار صيته، وانتفع النَّاس بتصانيفه. وَله: **شرح الْعَضُد، شرح التَّلْخِيص** – مطول، وَآخر مُخْتَصر – **شرح الْقسم الثَّالِث من الْمِفْتَاح، التَّلْوِيح على التَّنْقِيح فِي أُصُول الْفِقْه، شرح العقائد، الْمَقَاصِد فِي الْكَلَام** و **شَرحه، شرح الشمسية** فِي الْمنطق، **شرح تصريف الْعزي، الْإِرْشَاد** فِي النَّحْو، **حَاشِيَة الْكَشَّاف لم**

هو الولاية أعني التصرف في الخلق بالحق غير مختومة بل قام سلطانها إلى قيام الساعة، فإن للأولياء من أمة محمد صلى الله عليه وسلم حملة تصرف ولاية بهم، إذ ليس الولي إلا مظهر تصرف النبي ولهذا كانت علامتهم المتابعة" انتهى.[٤٢٢]

فنقول وبالله التوفيق: إنه عليه الصلاة والسلام أفضل الرسل لأن معجزاته شاملة وباقية وعظيمة [٤٢٣]وموصوفة بالأكملية. وكل رسول ومعجزاته كذلك كان أفضلَ الرسل. هذا الذي ذكرناه مآل الأبيات فلنفصلها بعض التفصيل فنقول وبالله التوفيق وبيده ملكوت التحقيق: معجزاته صلى الله عليه وسلم على نوعين؛

النوع الأول: المعجزات الإرهاصية[٤٢٤] وهي التي ظهرت قبل البعثة علامةً لظهوره وبعثته[٤٢٥] صلى الله عليه وسلم؛ كسقوط الأصنام المعلقة على البيت ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم، وانهدام طاق كسرى، وانهدام قباب كنائس النصارى، وانطفاء نار المجوس، وسماع الكلام من أركان البيت بأن صاحب الشرع قد جاء كل ذلك في تلك الليلة المباركة، وكظهور العدل في أنوشروان كسرى مع أنه

تتم. وَغير ذَلِك. وَكَانَ فِي لِسَانه لكنة، وانتهت إِلَيْهِ معرفَة الْعُلُوم بالمشرق. مَاتَ بسمرقند سنة إِحْدَى وَتِسْعين وَسَبْعمائة. انظر، جلال الدين السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، المكتبة العصرية، م ٢، ص ٢٨٥.

[٤٢٢] التفتازاني، **شرح المقاصد**، ت. د. عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، ص ٧٨.

[٤٢٣] من هنا إلى قوله "هذا الذي" تغيرت العبارة في نسخة د وهي : وكل معجزة شأنه هذا، كان الرسول الذي ظهرت تلك المعجزات على يده أفضلَ الرسل. أما الصغرى؛ فلما مر. وأما الكبرى؛ فلأن ععظم الدال يدل على عظم المدلول وأفضليته، فإنه كلما كان دليل الشيء أقوى وأعظم كان ذلك الدليل أشرف وأعلى، وكلما كان مدلوله أشرف وأعلى فافهم.

[٤٢٤] في الأصل "إرهاصية "

[٤٢٥] د – وبعثته

لا مناسبة بين العدل وبينه؛ إذ هو حينئذ على ما بُيِّن في التواريخ من أهل الظلم العظيم لكونه عابدا للنار مجوسيا. وليس ظهور العدل فيه إلا ببركة قرب طلوع شمس الرسالة في فلك معدَّل نهار الشريعة وبركة قرب بلدته الطيبة المباركة بمكان إيوان كسرى أنوشروان تأمل.

والنوع الثاني: المعجزات التصديقية المقرونة بالتحدي وهي التي ظهرت بعد البعثة وهذا النوع الثاني على ثلاث مراتب؛

الأولى: الخوارق الظاهرة، كتكلم الشجرو الحجر[٤٢٦] وتسبيح الحصى وغير ذلك،

والثانية: الخارق الخفي وأعني بالخفي ما لا يدرَك بالحواس الظاهرة بل بالعقل عند ظهور التحدي بالعجز عن الإتيان بمثله، كالقرآن.

والثالثة: الإخبار عن الغيوب، والقرآن يشتمل على هذا النحو مع اشتماله على غاية البلاغة ونهاية الفصاحة. فإذا فهمت هذا التقرير فقوله "وأمره بين في حالتيه لمن كانت " إلخ. إشارة إلى الوجهين[٤٢٧] الأولين[٤٢٨] من الوجوه الثلاثة، وإلى الوجه الثالث مع هذين النوعين أي نبوته ورسالته صلى الله عليه وسلم، بين لمن كانت له في اعتبار الحال عينان؛ عين ينظر بها إلى ذاته وأخلاقه وأحواله صلى الله عليه وسلم [٤٢٩]وهي عين القلب وهي عين البصيرة، وعين ينظر بها إلى ما ظهر منه صلى الله عليه وسلم من الخوارق والمعجزات التصديقية مع اعتبار معاملة الخلق بالحق كيف يعاملهم بالرأفة

---

[٤٢٦] ح، د : الحجر والشجر

[٤٢٧] د : نوعين

[٤٢٨] د - من ... أي

[٤٢٩] الأصل، د - وهي... البصيرة

والرحمة حتى وصفه الله تعالى بقوله{بالمؤمنين رؤوف رحيم}[٤٣٠].[٤٣١]وهي عين العقل وهي عين النظر والاستدلال[٤٣٢].

ثم بين الناظم ماهو من قبيل الإخبار بالغيوب فقال:

إخباره عن غيوب كالحكاية   عن بلوى نصيب بعثمان بن عفان

فإنه صلى الله عليه وسلم أخبر بابتلاء عثمان رضي الله عنه وشهادته وهو يقرأ في المصحف قوله تعالى{فسيكفيكهم الله، وهو السميع العليم صبغةَ الله...}وكإخباره صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه رضي الله عنهم،

ما جرى بين كسرى والصحابة   من اتفاق كنز وتخريب بلدان

كسرى علمٌ لمن ملك الفرس؛ كتُبَّعٍ، ومَلا، وفغفور، وقيصر، وحاقان لمن ملك اليمن، وفاس وچين بالعزتي صين، والروم، وخطاي. أخبر صلى الله عليه وسلم عن غزاء[٤٣٣] أمته وتملكهم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤوها، فوقع كما أخبر

وغزوة البحر منهم مرتين وأن   يكون مع أوليهم بنت ملحان

[٤٣٠] سورة التوبة، الآية ١٢٨.

[٤٣١] الأصل، د – وهي... ثم.

[٤٣٢] ح : هذه العبارة كتبت مرتين "وهي ينظر بها إلى ما ظهر منه صلى الله عليه وسلم"

[٤٣٣] في الأصل : غراء

وشقه قمرا والكشف إذا سألوا   غداة معراجه من حال ركبان

الأخبار مذكورة في كتب السير والتفصيل مذكور[٤٣٤] في الشروح.

والرمي بالبدر بالحصى بأعينهم   [٤٣٥]والرد في أحد عين بن نعمان

قد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض قبضة من التراب يوم بدر[٤٣٦] فرمى به تجاه الكفار فلم يبق كافر إلا وقد وصلت التربة إلى عينيه كما قال سبحانه وتعالى{وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى} و هذه الآية تعطيك أنه صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء والمرسَلين؛ إذ لم يقل سبحانه ولكن الرب رمى، ولكن الرحيم رمى إلى غير ذلك من الاسماء الحسنى، بل قال {ولكن الله رمى}، فالمنفي منه صلى الله عليه وسلم خلقا[٤٣٧] بقوله تعالى {وما رميت} مُسنَد إليه عليه السلام كسبا بقوله {إذ رميت} وهو مسند إليه سبحانه خلقا من كون أنه تعالى مسمى الله، فإن اسم الجلالة مستجمع بجميع الأسماء الإلهية[٤٣٨]. ولدلالة هذه الآية على كونه صلى الله عليه وسلم أفضلَ الرسل، قال صدر الشريعة في تعديل العلوم عند ذكر التجليات الروحية: "هذا [٤٣٩]أي مدلول هذه الية أعني قوله تعالى{وما رميت إذ رميت ولن الله رمى} أعلى التجليات[٤٤٠] الإلهية للروح"وتفصيله في ذلك الكتاب فلتنظر إليه.

---

[٤٣٤] د - مذكور

[٤٣٥] هذا الشطر من البيت لا يوجد في نسخة د

[٤٣٦] د – يوم بدر

[٤٣٧] د – بقوله ... من كونه

[٤٣٨] د - الإلهية

[٤٣٩] د – أي ... أعلى

[٤٤٠] د : فإنه يُحَل بالألوهية

وكذا أصاب عين ابن نعمان من جهة الكفار شيء فسقطت عينه، وردها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصارت كما لم تسقط. قال روح الله روحه:

وكم رروا بأسانيد مصححة　　　أمثال ما قد روى عنه الصحيحان

وتلك الروايات بعضها مشهورات وبعضها آحاد فافهم ذلك، ولكن:

دلالة الصدق بين الكل مشترك

فبلغ القدر المشترك حدَّ التواتر.

وتواترت مثل معنى شعر حسان

رضي الله عنه، فإن أشعار حسان ابن ثابت رضي الله عنه كل واحد[٤٤١] منسوب إليه بطريق الآحاد لكن القدر المشترك بلغ حد التواتر؛ كشجاعة علي رضي الله عنه، وجود حاتِم.

فإن قلت: قد قسمت فيما سبق المعجزات إلى ثلاث، فأي معجزة هي عُظمى؟ يقال في الجواب:

وأعظم الآي قرآن لما عجزوا　　　عن سورة منه مع صرف الأذهان

استُدِلَّ على كون القرآن أعظم المعجزات بعجز[٤٤٢] من تصدي لمعارضته بإتيان مثله مع صرف الأذهان. فإعجاز القرآن إما من غاية فصاحته ونهاية بلاغته بحيث لم تبق مرتبةٌ في البلاغة والفصاحة

---

[٤٤١] د : كلا منها

[٤٤٢] د : الآيات لعجز

إلا والقرآن فوقها. وذلك التناهي قدر البشر فيكون من تصدَّى لمعارضته بإتيان مثل القرآن عاجزا عنه لعدم وفاء قوته بذلك بلا صرف القدرة عنه[٤٤٣] فيظهر عجزه مع بقاء قدرته، وإلى هذا ذهب كثر من علماء الاشاعرة روح الله أرواحهم.

واما من جلالة أسلوبه البديع ونظمه الغريب؛ إذ لا يوجد في كلام الثقلين ما يدانيه في ذلك لأن كلامهم إما من النفس، أو من العقل، أو من القلب مثل كلام الشعراء[٤٤٤]، فإنه تعالى قال {ألم تر أنهم في كل واد يهيمون}[٤٤٥] وكلام العلماء فإنه تعالى أثبت لهم مقام العقل وقال تعالى {وما يعقلها إلا العالِمون}[٤٤٦] وكلام العرفاء فإنه تعالى أثبت لهم القلب وقال{ ذلك ذكرى لمن كان له قلب}[٤٤٧] وقال أيضا {فتُخبِت له قلوبهم}[٤٤٨]. وهذا إثبات القلب لهم. وهذا القرآن من[٤٤٩] الروح النوري القُدسي الجلالي[٤٥٠] [٤٥١]إلى القلب النبوي المحمدي كما أشار إليه تعالى بقوله {وكذلك أوحينا إليك روحا من

---

[٤٤٣] د – بلا صرف القدرة عنه

[٤٤٤] من هنا إلى قوله "وهذا القرآن" ليست موجودة في نسخة د

[٤٤٥] سورة الشعراء، الآية ٢٢٥.

[٤٤٦] سورة العنكبوت، الآية ٤٣.

[٤٤٧] سورة الذاريات، الآية ٣٧.

[٤٤٨] سورة الحج، الآية ٥٤.

[٤٤٩] ح : هو

[٤٥٠] ح + بواسطة الروح الأمين على

[٤٥١] د – إلى القلب النبوي المحمدي

أمرنا، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء...}[٤٥٢] وبقوله {نزل به الروح الأمين \ على قلبك لتكون من المنذرين}[٤٥٣].[٤٥٤]

فإذا فهمت ما ذكرناه لك[٤٥٥] فاعلم أن الثقلين لا يستطيعون أن تنفُذوا من أقطار السماوات الملكوتية إلا بسلطان[٤٥٦] الحق، فكيف يرتقون إلى مُرْتَقَى القُدس والجلال والجبروت؟ لهذا قال سبحانه {قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا}[٤٥٧]وإلى هذا ذهب المحققون من صوفية الاشاعرة قدس الله أرواحهم.

وأما بِصرف قدرتهم عن الإتيان بمثله ولو لم تُصرَف قدرتهم عنه[٤٥٨] لأتوا بمثل هذا[٤٥٩] القرآن؛ وإلى هذا ذهب كثير من المعتزلة عفى الله عنهم. ورد هذا المذهب بأن الفعل لا يكون إلا اختيارا خصوصا عندهم[٤٦٠]، فلو صُرفت قدرتهم عنهم في فعل الإتيان بالمثل لم يطلَق عليه الفعل بل يكون فَعلا بفتح الفاء لا فِعلا بكسر الفاء. وقد أطلق سبحانه عليه الفِعل حيث قال[٤٦١] {فإن لم تفعلوا ولن

[٤٥٢]سورة الشورى، الآية ٥٣.

[٤٥٣] سورة الشعراء، الآية ١٩٣ ـ ١٩٤.

[٤٥٤] د + {لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله}

[٤٥٥] ح : ... فهمت "هذا "

[٤٥٦] د : باصطفاء

[٤٥٧] سورة الإسراء، الآية ٨٨.

[٤٥٨] د : عنهم

[٤٥٩] د + هذا

[٤٦٠] د – خصوصا عندهم

[٤٦١] " قال" ليست موجودة في الأصل

تفعلوا}[٤٦٢] فيُدرك منه أنهم لم يفعلوا مع بقاء قدرتهم عليه. ولو كان عدم فعلهم بصرف القدرة عنهم لَقيل: "وإن لم تفعلوا[٤٦٣] ولن تقدروا عليه" ولم يقل سبحانه هكذا فافهم.

ولما كان إنزال القرآن في ليلة مباركة ليلةِ القدر، وكانت خواتيم سورة البقرة قد أوحيت إلى النبي عليه السلام في ليلة مباركة ليلةِ الإسراء والمعراج كما قال الله تعالى{فأوحى إلى عبده ما أوحى}[٤٦٤] [٤٦٥]وكما أن القرآن معجزة شاملة لأنواع المعجزات من الإخبار بالغيوب في الماضي والآتي[٤٦٦] في ملكوت السماوات والأرض، كذلك كانت معجزة المعراج جاريةً في ملكوت السماوات والأرض. [٤٦٧]وحيث كان الأمر كذلك تحققت المناسبة بين معجزة القرآن ومعجزة المعراج، فلأجل هذه المناسبة قال روح الله روحه:

معراجه واقع يقظان في بدن بآية ومشاهير ووحدان

واعلم أن الإسراء ثابت بالنص والمعراج بالتفاق أهل الحق وبالمشهور، وتعيين محل منتهى العروج، وحديث الرَّفْرَف بالآحاد. ولما كانت هذه الأمور حاصلة له عليه السلام في أقل من الزمان استحالت الكفرة والفلاسفة ذلك لاشتمالها على السرعة في الحركة الخارجة عن لإمكان.

---

[٤٦٢] سورة البقرة، الآية ٢٤.

[٤٦٣] د : وإن لم تقدروا

[٤٦٤] سورة النجم، الآية ١٠.

[٤٦٥] د من هنا إلى قوله "تحققت" ليست موجودة في نسخة د

[٤٦٦] ح – في الماضي والآتي

[٤٦٧] ح - وحيث كان الأمر كذلك

أشار [٤٦٨]العلامة **البيضاوي** قدس الله سرَّه في تفسير سورة الإسراء إلى دفع الاستحالة بقوله[٤٦٩]: "والاستحالة مدفوعة بما ثبت في علمَي الهندسة والحساب أن قرص الشمس مع كونه بمثل كرة الأرض مائة وستين مرةً [٤٧٠]يصل طرفه الأسفل بالطرف الأعلى[٤٧١] في أقل من ثانية، وقد برهن في الكلام أن الأجسام متساوية في قبول الأعراض. وأن [٤٧٢]الله قادر على كل شيء[٤٧٣] فيقدر على أن يخلُق حركة في بدن النبي عليه السلام أو في بُرَاقِه مثلَ حركة الشمس والاستبعاد من خواص المعجزة"[٤٧٤] انتهى نقلا بالمعنى. [٤٧٥]

[٤٧٦]واعترض بعض المهندسين على البيضاوي بأن قوله "بأقل من ثانية" لا ينطبق على ما في نفس الأمر، فإنا قد قايسناها فوجدناها يصل طرفه الأسفل بالأعلى بأزيد من أربع دقائق. وأنت تعلم أن مراد البيضاوي قدس الله سره؛ أنا لو فرضنا جسما ساكنا، مسطَّحا، مماسا لمُقَعَّر خارج الشمس، وفرضنا أنفسنا هناك أعني قريبا من وراء ذلك الجسم المفروض، ثم نظرنا إلى الشمس [٤٧٧]نراها بين ظهور أعلاها من سطح ذلك الجسم المفروض وبين ظهور أسفلها تقطع بأقل من ثانية بخلاف ما

---

[٤٦٨] ح + المدقق

[٤٦٩] د : والاستحالة مدفوعة بما ذكره القاضي البيضاوي في تفسير سورة الإسراء من قوله

[٤٧٠] د – مع كونه بمثل كرة الأرض مائة وستين مرةً

[٤٧١] د : يصل طرفه الأعلى بالطرف الأسفل

[٤٧٢] ح : والله سبحانه وتعالى

[٤٧٣] د : الممكنات

[٤٧٤] انظر، البيضاوي، المرجع السابق، م ٣، ص ٣٤٧.

[٤٧٥] ح : الخواص

[٤٧٦] من هنا إلى قوله " لعل ما ذكره البيضاوي" ليست موجودة في نسخة د

[٤٧٧] ح : لنراها

فرضناه من جسم قريب منا كرأس الجبل، فنظرنا إلى الشمس فإنا نرى حينئذ أن قرص الشمس يصل طرفه الأعلى بالأسفل عند الغروب بدقيقة مثلا. وهذا الحكم مما يعطيه القرب والبعد؛ فإنا نرى الجسم المتحرك بالحركة السريعة من بعيد كالساكن لأن حركته تبدوا لنا بطيئة كدخان فوق جبل بعيد مع كون الحركته[٤٧٨] سريعة، هذا وفيه تأمل.

ثم أقول: لعل ما ذكره البيضاوي قدس الله سره موافق لما ذكره حجة الإسلام الغزالي رضي الله عنه في مشكاة الأنوار من انه صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليه السلام :

أزالت الشمس؟

قال: نعم

قال: كيف؟

قال: منذ قولي "لا" إلى قولي "نعم" قطعت الشمس مسيرة خمسمائة عام.

انتهى فافهم ذلك. فإن قيل: ما ذكره البيضاوي من دفع الاستحالة المذكورة بناء على كون الأجسام متساوية، إنما يصح على مذهب الأشعريين القائلين بتألف الأجسام من الجواهر الفردة، والحكيم المنكر للعروج والإسراء لا يقول بذلك؟ قلنا: كلام البيضاوي مبني على التحقيق لا على الإلزام فافهم.[479]

---

[٤٧٨] ح : هذه الحركة

[٤٧٩] في الهامش: ووجه الأمر بالفهم إشارة إلى الجواب الآخر؛ بأنه مراد البيضاوي مقولة أن الأجسام متساوية التساوي بحسب اللغة لا بحسب الاصطلاح بمعنى المماثلة، أعنى الاتحاد في النوع، حقا يحتاج فيه إلى تركبهما من الجواهر الفردة. بل المراد كون الحكم مشتركا بينهما أي قبول أحدهما ما هو ثابت للآخر فتدبر.

ولما ذهب بعض العلماء إلى أن ظاهر أحاديث المعراج متعارضة معضها لبعض، لظاهر قول الصديقة رضي الله عنها وعن أبيها " ما فقد جسد محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج " ولقول بعض الصحابة رضي الله عنهم أنها كانت رؤيا صالحة، وبعض العلماء إلى أنه كان في اليقظة،فقيل بروحه، وقيل بشخصه، أراد أن يبين دفع التعارض[٤٨٠] بقوله قدس الله روحه ونور قبره:

وقوعه كان تكرارا وقد دفعوا ... به تعارض ما دل الحديثان

يعني أن كلا من الروايتين صحيحة؛ فإنه كان مكررا، فتارة مع الجسد يقظةً، وتارةً مع الروح يقظة ورؤيا فلا تعارضَ فيها.

ولما كانت معجزة المعراج من أبدع المعجزات لكونها جارية في العناصر والسماوات المخلوقتين لبديع السماوات والأرض كانت مخصوصة بنبي آخِر الزمان وخاتم الانبياء، لكون الخارق السماوي من المعجزات المنبئة عن قرب الساعة. لذلك قال تعالى{اقتربت الساعة وانشق القمر}[٤٨١] فلا شرع ولا دين بعد شرعه ودينه، فشرعه

ودينه ناسخ الأديان أجمعها ... ولم يكن نسخه جهلا لديان

[٤٨٠] د : دفع الناظم توهم التعارض

[٤٨١] سورة القمر، الآية ١.

شبهة[482] اليهود ـ عليهم اللعنة ـ في متناع النسخ وردُّ شبهتهم، وإثبات النسخ وكون حقيقة النسخ عبارة عن بيان مدة الحكم، مع الأسئلة والأجوبة مبسوطة في كتب الكلام والأصول فلياطلع ثمة.

وربما نصَّ لكن ما رووا حسدا   بنسخ توراته موسى بن عمران

صلوات الله على نبينا وعليه يعني أن موسى عليه السلام ربما نص بأن توراته سيُنسخ بالقرآن المنزل على نبي آخِر الزمان صلى الله عليه وسلم. وقد رُويت هذه الرواية لهم من متقدميهم[483] لكنهم ما رووا لمتأخريهم ومعاصريهم[484] حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الهدى، وجحدوا بها واستيقنتها أنفُسهم.[485]

فإن كفر اليهود عليهم اللعنة ـ خصوصا في عصر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ـ ليس إلا كفر جحود، ولهذا سُمي اليهود بين الناس بالجحود بل كفر أكثر المشركين في ذلك العصر أيضا. كذلك يدل عليه قوله تعالى {... فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمن بآيات الله يجحدون}[486]. ووجه ذلك أن الحسد لما استحكم في جبلتهم تمونوا كل سادة من كل قبيلة أن يكون المكرم بين الناس

---

[482] د : زُعْمُ

[483] د – وقد رُويت هذه الرواية لهم من متقدميهم

[484] د – لمتأخريهم ومعاصريهم

[485] د + ظلما وعتوا

[486] سورة الأنعام، الآية ٣٣.

بالمال وزخارف الدنيا[٤٨٧] مكرما عند الله لكونهم ذا مال وبنين[٤٨٨] وعشيرة وجاه دنيوي وهمي، وقاسوا النبوة والرسالة والقرب من الله عز وجل بذلك كما قال قالت اليهود {...نحن أبناء الله وأحباؤه}[٤٨٩] وما علموا أن الله عز وجل يصطفي من يشاء لرسالته وقربه ولا يتوقف اصطفاء الله عبدَه لرسالته وقربه على المال والجاه،[٤٩٠] بل يتوقف على[٤٩١] علمه وإرادته، و{الله أعلم حيث يجعل رسالته}[٤٩٢]

فمن هذه الحقيقة التي ذكرتُ لك علمتَ أن المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنين إنما كانوا خيرَ القرون لصفاء قلوبهم وخلُوِّها عن الحسد، و[٤٩٣]لإذاحة الحسد عن قلوبهم ونزعه عنها مع كزن أكثر أهل زمانهم حسودا. وأما من هذَّب نفسه من الحسد والرياء والكبر والعجب والحقد[٤٩٤] وأسلم وجهه لله وهو محسن فله أن يُعوِّل على قول نبيه صلى الله عليه وسلم وهو ما روي عنه صلى الله عليه وسلم: "لو كان موسى حيا ماوسعه إلا اتباعي"[٤٩٥] وهذا الخبر ينبئ بنسخ توراة موسى عليه السلام بالقرآن؛ إذ الرسل عليهم السلام،

والأنبياء بريؤون اتفاقا عن   كفر وكَذِب وعن فسق بإعلان

---

[٤٨٧] د - بالمال وزخارف الدنيا

[٤٨٨] د - وبنين

[٤٨٩] سورة المائدة، الآية ١٨.

[٤٩٠] د + وهم عدوهما من الكمالات

[٤٩١] الأصل - على

[٤٩٢] سورة الأنعام، الآية ١٢٤.

[٤٩٣] د - لصفاء قلوبهم وخلُوِّها عن الحسد، و

[٤٩٤] د - والرياء والكبر والعجب

[٤٩٥] انظر، الإمام أحمد بن حنبل، **المسند**، مؤسسة الرسالة، م ٢٢، ص ٤٦٨، الحديث ١٤٦٣١، ابن أبي شيبة، **المصنف**، م ٥، ص ٣١٢، الحديث ٢٦٤٢١، البيهقي، **شعب الإيمان**، مكتبة الرشد، م ١، ص ٣٤٧، الحديث ١٧٥.

لا يقال قوله "وعن فسق بإعلان" يوهم الفرق بين الظهور والصدور لأنا نقول: ملاحظة حقيقة العصمة دافعة للإيهام المذكور فتأمل.

وعن كبائر عمدا عند أكثرنا   وخسة مثل تطفيف بأوزان

يؤول القصص الحاكية لذنبهم   بأنه قبل وحي أوبنسيان[٤٩٦]

إذ البخل واللئامة وما أشبههما مما ينفر طباع الناس عن قبول قوله. وقال صاحب الفتوحات قدس الله سره: "الأنبياء معصومون من أن يلقي الشيطان في قلوبهم، والأولياء محفوظون من فعل ما يلقي الشيطان ما شاء الله إلقائَه في قلوبهم، فإن الشيطان يلقي في قلوبهم ما شاء الله أن يلقي إليهم فيفعلون خلاف ما يلقي الشيطان. وبهذه المخالفة للشيطان يحصل لهم منزلة ولولا حرصُ إبليس ما عاد إلى الولي، وهذا معنى الحفظ فعُلم الفرق بين العصمة والحفظ. فإن الشيطان ما له سبيل إلى إلقاء الوسوسة في قلوب الأنبياء، انتهى ملخصا.

فإن قال قائل فما معنى قوله تعالى{فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى}[٤٩٧]؟

فقل له مجيبا عن سؤاله: لم يقل سبحانه فألقى الشيطان الوسوسة إلى قلبه بل قال "فوسوس إليه الشيطان" بأن يريد الشيطان أن يوسوس في أمنيته إذا تمنى، فينسخ الله ما يلقي الشيطان. وإلقاء الشيطان الوسوسة في الأمنية غير إلقائه الوسوسة في القلب؛ فإن الفرق بينهما؛أن أثر الأول من غير

---

[٤٩٦] هذا البت لم يذكر في نسخة د

[٤٩٧] سورة طه، الآية ١٢٠.

عزم ولا عمد لقوله تعالى{فنسي ولم نجد له عزما}[٤٩٨]وأثر الثاني يكون بالعمد والعزم وذا لا يمكن للأنبياء عليهم السلام كما قال الناظم عليه الرحمة "وعن كبائر عمدا عند أكثرنا" إلخ. فلأجل هذه الدقيقة فُضِّلت الرسل من البشر على الرسل من الملك؛ إذ التحقق بالعبادة والملكات القدسية مع العوائق البشرية يكون أفضلَ وأعلَى لقوله عليه السلام "أفضل الأعمال أَحْمَزُها "[٤٩٩]، فللمرسلين رجحان على النبيين عليهم الصلاة والسلام في كل حين[٥٠٠]،

وللنبيين رجحان على ملك　　　تعليم علم وتكريم يدلان

لعله أراد بالتعليم تعليمَ آدم عليه السلامُ الأسماءَ الملائكة، فكان آدم عليه السلام بمقام المُعلِّم وهم بمنزلة المتعلمين، ولا شك أن المعلِّم أفضل من المتعلم[٥٠١]. هذا معارضة لقول المعتزلي في استدلاله على أفضلية الملائكة بقوله تعالى {علَّمه شديد القُوى} وأراد بالتكريم كون الملائكة مأمورين بالسجود لآدم عليه السلام؛ إذا كان ذلك السجود سجودَ تكريم ولهذا قال إبليس عليه اللعنة {أهذا الذي كرمت علي}[٥٠٢] لا التكريم المأخوذ من قوله تعالى {ولقد كرمنا بني آدم}[٥٠٣] فافهم.

وهذا معارضة لاستدلاله على أفضلية الملك بقوله تعالى {بل عباد مكرَمون}وفيه تأمل.

---

[٤٩٨] سورة طه، الآية ١١٥.

[٤٩٩] قال فيه الملا علي القاري: قال الزركشي لا يعرف وسكت عليه السيوطي، وقال ابن القيم في شرح المنازل لا أصل له قلت ومعناه صحيح لما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها "الأجر على قدر التعب" وهو في النهاية لابن الأثير منسوب إلى ابن عباس، انظر، **الأسرار المرفوعة**، ص ١٠٠.

[٥٠٠] د: فللمرسلين من البشر رجحان على خواص الملئكة

[٥٠١] ح : المتعلمين

[٥٠٢] سورة الإسراء، الآية ٦٢.

[٥٠٣] سورة الإسراء، الآية ٧٠.

ولما كان الولي المتقي العارف وارثا للأنبياء بمنطوق قوله عليه الصلاة والسلام "العلماء ورثة الأنبياء"[٥٠٤] وكان للولي حظا وافرا من التكريم لآدم عليه الصلاة و السلام لِما سبق من أن الولي هو التابع للنبي عليه الصلاة والسلام،[٥٠٥] شرع في بيان كراماتهم فقال روح الله تعالى روحه:

وللولي كرامات كما نُقلت   عن آصف وأبي الدرداء وسلمان

رضي الله تعالى عنهم. الكرامة أمر خارق للعادة يظهر على يد الولي التابع للنبي عليه السلام غير مقارن بدعوى النبوة إكراما له من الله تعالى، يختص برحمته من يشاء ويكرم بها لمن يريد.[٥٠٦]

قال بعض الاشاعرة كالأستاذ **أبي إسحاق** و**الحليمي** وجمهور المعتزلة: لو جاز ظهور الكرامة من الولي لاشتبهت بالمعجزة فلا يتميز بالمعجزة عنها.

ورُدَّ بأن كون المعجزة مقرونة بالتحدي كاف في الامتياز على أن الكرامة في الحقيقة معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم كما مر فافهم.

قال العلامة التفتازاني روح الله روحه في شرح المقاصد وبالجملة: "فظهور الكرامات للأولياء يكاد يلحق بظهور المعجزات للأنبياء عليهم السلام، وإنكارها ليس بمعجِب من أهل البدع والأهواء؛ إذ لم يشاهدوا ذلك من أنفُسهم قط ولم يسمعوا من رؤسائهم الذين يزعمون أنهم على شيء مع

---

[٥٠٤] انظر، الترمذي، **السنن**، م ٥،ص ٤٨، الحديث ٢٦٨٢، أبو داود، **السنن**، م ٣، ص ٣١٧، الحديث ٣٦٤١، ابن ماجه، **السنن**، دار إحياء الكتب العربية، م ١، ص ٨١، الحديث ٢٢٣.

[٥٠٥] د + وقد سبق أن الخارق الذي ظهر على يده معجزة لنبيه من حيث إنه تابع لنبيه

[٥٠٦] د : يكرم الله بها من يشاء ويختص برحمته من يريد

اجتهادهم في أمر العبادات واجتناب السيئات، فوقعوا في أولياء الله يمزقون أَدِيمَهم ويمضغون لحومهم ولم يعرفوا أن مبنى هذا الأمر[٥٠٧] على صفاء العقيدة، واقتفاء الطريقة، واصطفاء الحقيقة. وإنما العجب من بعض فقهاء أهل السنة حيث قال في ما رُوي عن **إبراهيم بن أدهم** قدس الله سره أنهم رأوه بالبصرة يوم التروية وفي ذلك اليوم بمكة، أن من جوز هذا يكفر.

والإنصاف ما ذكره **الإمام النسفي** رضي عنه ربه الغني حين سُئل عما يُحكى أن الكعبة كانت تزور واحدا من الأولياء هل يجوز القول بها؟ فقال: نقض العادة على سبيل الكرامة لأهل الولاية جائز عند أهل السنة انتهى. قال :[٥٠٨]

فضل النبي جلي بل نبوته فاقت ولايَته في قول إخوان

لا خلاف بين أهل السنة والجماعة في أن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من الولي، وأن نبوة النبي أفضل من ولاية غير النبي من الاولياء. وإنما الخلاف في أن نبوة النبي أفضل من ولاية النبي أم ولاية النبي أفضل من نبوته؟ إذ كل نبي ولي وليس كل ولي نبيا كما أن كل رسول نبي لا بالعكس.

قال العلامة التفتازاني روح الله تعالى روحه في شرح المقاصد: " نعم قد يقع التردد في أن نبوة النبي أفضل من ولايته أم ولايته أفضل من نبوته، فمن قائل بالأول لما في النبوة من معنى الوساطة بين الجانبين، والقيام بمصالح الخلق في الدارين مع شرف مشاهدة الملك، ومن قائل بالثاني لما في الولاية من معنى القرب والاختصاص الذي يكون في النبي في غاية الكمال بخلاف ولاية غير النبي. وفي كلام

[٥٠٧] ح + مبني

[٥٠٨] التفتازاني، شرح المقاصد، ت. عبد الرحمن عمَيرة، عالم الكتب، ص ٧٥.

بعض العرفاء أن ما قيل "الولاية أفضل من النبوة" لا يصح مطلقا، وليس من الأدب إطلاق القول به بل لا بد من التقييد وهو؛ أن ولاية النبي أفضل من نبوته، لأن نبوة التشريع متعلقة بمصلحة الوقت والولاية لا تعلق لها بوقت دون وقت، بل قام سلطانها إلى قيام الساعة" انتهى.[٥٠٩]

ولعل مراد التفتازاني ببعض العرفاء **الشيخ محي الدين العربي** قدس الله سره. فإنك إذا نظرت إلى قول الشيخ في **الفتوحات** و**الفصوص** وجدته منطبقا عليه [٥١٠]ما نقله[٥١١] ههنا إلا بتغيير العبارة، فإن كلام ذلك البعض هو من[٥١٢] قوله "أن ما قيل" إلخ. فإن قوله "أن ما قيل" ليس من كلام التفتازاني بل هو مقول بعض العرفاء؛[٥١٣] [٥١٤]فإن قوله "وفي كلام بعض العرفاء" ليس بمبتدأ حتى يكون خبره جملةُ "لا يصح مطلقا" كما توهم، بل هو معطوف على قوله " لما في الولاية " والمعنى " ومن قائل لما في الولاية من معنى النبوة" إلخ. و "لما في كلام بعض العرفاء أن ما قيل" إلخ.   وإن لم تُسَلِّم لي ذلك فطالع **الفتوحات** كيف تجد الكلام هناك، وطالع كتاب **الفصوص**[٥١٥] وكتاب **القرب** للشيخ قدس سره كيف تجد الكلام.

---

[٥٠٩] التفتازاني، المرجع السابق، ص ٧٨.

[٥١٠] د : لِمَا

[٥١١] ح، د + التفتازاني

[٥١٢] د + من ابتداء

[٥١٣] من هنا إلى "وإن لم تسلم" لا يوجد في نسخة ح.

[٥١٤] من هنا إلى قوله "وإن لم تسلم" ليست موجودة في نسخة د

[٥١٥] د + كتاب الفصوص

والحاصل أن مرام **التفتازاني** التوقف في هذه المسألة؛ إذ لم يذكر ما يدل على ترجيح أحد القولين، ومرام الناظم ترجيح نبوة النبي على ولايته وهذا على كون قول الناظم "نبوته" بالرفع فاعل "فاقت" و "ولايته" بالنصب مفعول فاقت. وأما إذا كان قوله "نبوته" منصوبا على أنه مفعول "فاقت" وولايته بالرفع فاعل "فاقت" فيكون[٥١٦] ترجيحا لولاية النبي على نبوته. والله تعالى أعلم، والصواب التوقف كما هو المفاد من كلام سعد الدين [٥١٧]التفتازاني تغمده الله تعالى برحمته في بحبوحة جنانه.

قال الناظم عليه الرحمة:

وأفضل الناس بعد الانبياء أبو بكرٍلتصديقه من قبل أقران

من قبل أن يُقرِن تصديقه بطلب المعجزة الظاهرة بل إنما صدَّقَه[٥١٨] بالسر المُوَقَّر في صدره رضي الله عنه. ألا ترى انه كيف صدقه في معراجه عليه السلام حيث قال: "لئن أخبر عن سيره في السماوات لأصدُقَنَّه". وهو صادق ولم يطلب منه عليه السلام الشاهد لذلك. هذا إذا كانت كلمة إقران بكسر الألف، وأما إذا كانت بفتح الألف فمعناه من قَبل الأمثال فلا يكون علة مطردة، وأما تفصيلها ففي الشروح.

---

[٥١٦] ح : فتكون

[٥١٧] ح + العلامة

[٥١٨] د : صدق به بمقتضى

فإن قلتَ: إني أريد أن أسمع منك دليلك على أفضلية الصديق؛ فألق بالك إلي واسمع الآن[519] دليلي على أفضليته رضي الله عنه؛ فاعلم أن الدليل عليه عندي واعتقادي الذي عليه تعويلي واعتمادي[520] قولُه تعالى{إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا}[521].

فنقول: ما طلعت شمس سماء النبوة وأشرقت [522]في عَرْفِ الصحبة في روضات الولاية على أحدٍ أفضلَ من أبي بكر رضي الله عنه، فحظه واستنادته رضي الله عنه من طلوع شمس النبوة أعني سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشرف وكرم[523] اختصاصه بالصحبة إذ هما في الغار إذ يقول له لا تحزن إن الله معنا، ولهذا سماه الله تعالى في كتابه بالصاحب حين أنزل سكينته عليه، فهو المختص بين الأصحاب بهذه الفضيلة المخصصة حيث جمعه في "مَعَنا" في قوله "لا تحزن إن الله معنا" إذ لم يقل صلى الله عليه وسلم "إن الله معي" ولا "إن ربي معي" ولا "إن ربي معنا" بل قال " إن الله معنا" وذلك لسبق العناية الإلهية باختصاص السر المُوَقَّر في صدره رضي الله عنه.

وأما حظه من غروب شمس[524] النبوة فكونه مدفونا في الروضة المطهرة فوقع دفن الصديق رضي الله عنه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فليفهم. فإذا تأملت في حقيقة ما قررنا لك لم يبق

---

[519] د : واستمع

[520] د – عندي واعتقادي الذي عليه تعويلي واعتمادي

[521] سورة التوبة، الآية ٤٠.

[522] من هنا إلى قوله "أفضل" تغيرت العبارة وهي : أشرقت في رياض الصحبة بعد النبيين والمرسلين"

[523] د + وشرف وكرم

[524] د : وأما حظه من غروبها

فيك شبهة في أفضليته رضي الله عنه وعن جميع الصحابة رضي الله عنهم فافهم ذلك. قال الناظم عليه الرحمة:

وبعده عمر الفاروق إذ هو في		إظهار دين رسول خير معوان

وبعد ذلك قد أفتى مشايخنا		أن لا تردد في تفضيل عثمان

وبعد ذلك علي وهو أقربهم		إلى النبي وأحظى بين أختان

والدلائل مذكورة في الشروح والتحقيق في الخيالي والعرياني عليك بهما. وأما الفقير فيقول: هذه الأئمة الأربعة حملة عرش الإسلام وأعمدة قبة الإحسان، وهم الأركان الأربعة لاستقامة هذه الأمة.

ثم إن المراد بالأفضلية عند الاشاعرة كثرة الثواب. وما من أحد ينال الثواب [٥٢٥]في هذه الدنيا الفانية إلا قليلا وهو لا على سبيل الكمال؛ إذ نرى كثيرا من العباد والصالحين ما فازوا بالراحة في هذه الدنيا إلا قليل[٥٢٦]، فلا بد من محل يصل الثواب فيه إلى أهله، إذ الدنيا متناهية والثواب غير متانه ولا يفئ المتناهي لغير المتناهي. وكمال الثواب لأهل السعادة لا يكون[٥٢٧] إلا بالجمع بين السعادتين؛ اللذات العقلية الروحانية واللذات الجسمانية الحسية[٥٢٨] ، فإن الثواب عبارة عنهما والجمع بين هاتين

---

[٥٢٥] د : في هذا الدار على سبيل الكمال، والظاهر أنه فيه نقص.

[٥٢٦] ح : إلا بأقل قليل، د -

[٥٢٧] : لا يحصل

[٥٢٨] - الحسية

السعادتين في هذه النشأة متعذر، فلا بد من حشر الأجساد إكمالا للسعادتين وإتماما للثوابين. ولهذا قال الناظم روح الله تعالى روحه ونور قبره شكر سعيه:

الحشر والبداء إمكانا وتمييزا ونفي مدخل أوقات سويان

يعني أن الحشر في الآخرة والبداء في الدنيا إمكانا وتمييزا، متساويان بالنسبة إلى قدرة المختار، وعلمُه المحيط[٥٢٩] ولا مدخل للوقت في تشخيص الإنسان، فبطل قول الفلاسفة بامتناع المعاد الجسماني بناء على أن الوقت من المشخصات. فلو أعيد الشخص لوجب إعادة الوقت الأول الذي وُجد ذلك الشخص فيه وهو محال لامتناع إعادة المعدوم. ووجه إبطال قولهم؛ هو[٥٣٠] أن الوقت ليس من المشخصات، إذ الشخص المعين الذي رأيناه مثلا في الصباوة هو الشخص المعين الذي رأينا في الكهولة وتبدل هيكله وصورته لا يقدح في شخصه.

ثم إن الحشر الجسماني يتوقف على علتين؛

الأولى: العلة المصححة وهي كونه ممكناوإحاطة علمه تعالى بكل الكليات والجزئيات من حيث إنها جزئيات[٥٣١]، وشمول قدرته بكل شيء. وأشار الناظم إلى ما قلتُ بقوله"الحشر والبداء إمكانا وتمييزا" أما الإمكان فلوجوده بالمرة الأولى، [٥٣٢]إذ لو امتنع لامتنع بالمرة الأولى. إذ الحقائق من حيث

---

[٥٢٩] في الأصل و ح: محيط

[٥٣٠] "هو" ليست موجودة في الاصل

[٥٣١] د – من حيث إنها جزئيات

[٥٣٢] الأصل - إذ لو امتنع لامتنع بالمرة الأولى

هي[٥٣٣] لا تتبدل. وأما شمول علمه وقدرته فلما مر من دلالة الأفعال المتقنة على علم خالقها، ولكون كل ممكن مقدورا لله تعالى.

والثانية: العلة المرجحة وهي إرادته تعالى بذلك وإخباره تعالى عن وقوع ذلك يدل على إرادته تعالى بذلك كما قال سبحانه مشيرا إلى الإمكان والوقوع {قل يحيها الذي أنشأها أول مرة}[٥٣٤] [٥٣٥]، {أفعيينا بالخلق الأول بل في لبس من خلق جديد}[٥٣٦]، {قل يحييها الذي أنشأها أول مرة}.

قال الإمام حجة الإسلام **أبوا حامد الغزالي الطوسي** قدس الله سره في الكتاب المضنون **به على غير أهله** ما حاصله: "عود النفس إلى البدن في المرة الثانية أمر ممكن؛ إذ كان في المرة الأولى ممكنا، بل التعجب في الأولى أليق به إلا أن الأُلْفَة[٥٣٧] أسقطت التعجب منه وهو في نفسه عجيب. كما أن من أيقن أن رجلا حمل نفسه على امرأة مرارا فخرج منه ماء، لزج وأخفى ما خرج منه في بعض عضو المرأة، فبعد مرور الأيام الكثيرة يكون ذلك علقة، ثم مضغة، ثم لحما وعظاما، ثم ينفخ فيه الروح ويخرج إلى الدنيا وهو لا يعلم شيئا. ومع ذلك يطلب من حينه ثديَ أمه، ثم ينموا، وربما يصير ذلك ملكا ذا شوكة وسطوة عظيمة فهذا بالتعجب أليق، ولا فرق بين خلق البدن بالمرة الأولى بالتدريج،

---

[٥٣٣] د – من حيث هي، + والمفهومات

[٥٣٤] سورة يس، الآية ٧٩.

[٥٣٥] الآية لم تذكر في الأصل وفي ح

[٥٣٦] سورة ق، الآية ١٥.

[٥٣٧] د + والمشاهدة

وبين[٥٣٨] خلقه بالمرة الثانية دفعة؛ إذ ما يمكن[٥٣٩] أن يكون بالتدريج يمكن أن يكون دفعة وبيَّنًا ذلك. فإذا ثبت إمكان ووجوده[٥٤٠] بالمرة الألى ثبت بالمرة الثانية. انتهى ملخصا. ولذا قال روح الله روحه:

بل لا احتياج إلى قول بصحة أن   تعاد ما عُدمت في حشر أبدان

مآل البيت؛ أنَّا لا نحتاج في إثبات الحشر الجسماني إلى إثبات صحة[٥٤١] إعادة المعدوم؛ إذ يكفي لنا في ذلك جمع الأجزاء المتفرقة. واختلف بين المتكلمين في أن حشر الأبدان هل هو بإعادة المعدوم أو بجمع الأجزاء المتفرقة؟

فقال بعضهم بالأول، وقال بعضهم بالثاني وهو اختيار كثير منهم، وهو الملائم لقوله تعالى للخليل صلوات الله على نبينا وعليه{فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزء ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم}[٥٤٢] الآية. فحاصل قول الناظم اختيار الثاني فافهم.

لا يقال إنما قال: من قال بحقيّة المعاد الجسماني[٥٤٣] أن الحشر الجسماني يتوقف على إعادة المعدوم لكون الأجسام عند القائلين بذلك مركبة من الأعراض، فإذا هلك البدن بالموت وفني الجسد

---

٥٣٨ د – وبين

٥٣٩ د – يمكن

٥٤٠ ح، د : إمكانه

٥٤١ د : إمكان

٥٤٢ سورة البقرة، الآية ٢٦٠.

٥٤٣ د – بحقيّة المعاد الجسماني

تحت التراب مثلا يكون معدوما؛ إذ لا بقاء للأعراض. وإذا حشر البدن الأول فلا يكون تقوُّم البدن إلا بتألفه من أجزائه التي هي الأعراض المعدومة فوجب أن يعاد المعدوم لا غير،

لإنه يجاب: قولك هذا إنما هو في من يقول بتركيب الأجسام من الأعراض ممن يقول بالحشر الجسماني لا في غيرهم، إذ القائلون بالحشر الجسماني ليسوا بأجمعهم بقائلين بتركب الأجسام من الأعراض بل أكثرهم قالوا بتركبها من الجواهر الفردة ومع ذلك قالوا بإعادة المعدوم[٥٤٤] فتأمل.

ثم لما كانت الأجزاء الأصلية للإنسان مركبة من الجواهر الفردة عند الأشاعرة وهي باقية بعد التفرق، فتلك الأجزاء وإن تغيرت أوصافها بالاستحالات اللاحقة بعد الموت، لكن ذواتها محفوظة في جميع مراتب الاستحالات؛ حتى يستحيل إلى صفة هي لها عند الانتقال إلى الدار الآخرة كمًّا وكيفا المشار إليها بقوله تعالى{قل الذي فطركم أول مرة، فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو...}[٥٤٥]الآية. {كما بدأكم تعودون}[٥٤٦] [٥٤٧]الآية. فتلك الأجزاءُ أجزاءٌ أصلية لكل بدنٍ بدنٍ، ولا تكون تلك الأجزاء أجزاء أصلية لبدن آخر بكونه مأكولة له في الدنيا. أشار إلى ذلك بقوله:

أجزاء أصلية كلا وإن أُكلت فتلك لم تكن أجزاء الجسمان

استدلت الفلاسفة على امتناع الحشر الجسماني أيضا بأنه لو أكل إنسان إنسانا لكان المأكول جزء من الأكل، فإذا وقع الحشر فإما أن يُحشر بلا زيادة ولانقصان فيلزم أن لا يكون الإنسان المأكول

---

[٥٤٤] د – ومع ذلك قالوا بإعادة المعدوم

[٥٤٥] سورة الإسراء، الآية ٥١.

[٥٤٦] سورة الأعراف، الآية ٢٩.

[٥٤٧] د -{كما بدأكم تعودون}

جزء من الأكل وهو محال؛ إذ لا يكون البدن بدنا إلا بالتغذي من المأكولات أو يحشر أحدهما وهو محال، إذ الحشر لا يكون إلا بجميع الحيوانات إنسانا أو غيرَ عندكم.

والجواب: أنه إن أردتم بقولكم "لكان المأكول جزء من الأكل" كونَه جزء أصليا فممنوع، وإن أردتم به كونه جزء فضوليا عرضيا فهو مسلَّم وليس بمحذور.

لا يقال: لو أكل إنسان إنسانا أوحيوانا كدجاجة وغيرها لكان المأكول بعد الهضم الثاني نطفة فيحصل منه إنسان، فلو حُشرا لكان الشخص الواحد شخصين، ولو حُشر أحدهما لكان الحشر على خلاف معتقد المليّينن القائلين بالحشر الجسماني؟

لأنا نقول: لا نسلم أن النطفة الصالحة لأن تكون إنسانا حاصلةً من اللحوم. فلم لا يجوز أن تحصل من النباتات كالحنطة والشعير والتمر[٥٤٨] والزيتون؟ ألا ترى أن أبا البشر آدم صفِيَّ الله عليه السلام لمَّا قدم إلى الدار الدنيا كان غذاؤه التين والحنطة والعنب وقد حصل له أولاد كثيرة؟

ولا نمنع كون النطفة حاصلة من اللحوم والشحوم مطلقا، بل مرادنا منعُ كون اللحوم نطفة صالحة لأن يكون ولدا فافهم.

[٥٤٨] د : والنخل

فإن قلت: أليس قد ذهب بعض العقلاء والعلماء إلى عدم بقاء الأجسام من الفلاسفة والمتكلمين، وبعض الأشعريين[٥٤٩] إلى عدم بقاء الأعراض؟ فالقول بالمعاد [٥٥٠]الجسماني يستلزم القول بإعادة المعدوم بلا شك، إذ الأمثال الزائلات بعد كل التجددات معدومات؟

لأنه يقال في الجواب: [٥٥١]إن القائلين بكون الحشر الجسماني بجمع الأجزاء لم يذهبوا إلى امتناع إثبات الحشر الجسماني بإعادة المعدوم، بل قالوا : يكفينا في ذلك كونه بالجمع بعد التفرق وفيه تأمل.

فالحاصل أن القول بكون الحشر بجمع الأجزاء لا تنافي القول بإمكان إعادة المعدوم فتأمل فيه حق التأمل. لا يقال: لا بد للروح من بدن يتعلق به ولا يشترط أن يكون ذلك البدن عينَ البدن الأول، لأنا نقول: هذا قول مردود يشهد ببطلانه قوله تعالى{قل يحيها الذي أنشأها أول مرة}ولا يجترئ على ان يقول بمثل هذا القول إلا فلسفي أو متفلسف فتأمل.[٥٥٢]

---

[٥٤٩] د : في الهامش : قوله وبعض الأشعريين أي بعض الأشعريين لا كلهم بل أكثرهم، فإن منهم من توقف في ذلك.

[٥٥٠] د + والحشر

[٥٥١] من هنا إلى قوله "فتأمل فيه حق التأمل" تغيرت العبارة في نسخة د وهي : معنى الحد والأمثال في كل، أن يذهب كل واحد من المثل لا إلى العدم الصرف بل يستحيل بهواء أو رطوبة أو غير ذلك، فلا تكون الأمثال الزائلة معدومة صرفة ليلزم في الحشر القول بإعادة المعدوم. لا يقال: إذا لم تكن الأمثال المتجددة معدومات لزم أن يجمع في الوجود أبدان وأجسام غير متناهية وهو محال لتناهي البعد ولاستلزامه في الأمور المجتمعة وهو محال ببرهان التطبيق. لأنه يجاب: لزوم اجتماع الأبدان الغير المتناهية وإنما يلزم ذلك لو قلنا بقد النوع الإنساني وسائر بشرية الأفراد فردا بعد فرد إلى غير النهاية وهو باطل عندنا. غايته يلزم على ما قلنا جثامة كل بدن في القيامة بانضمام الأمثال الزائلة المستحيلة في البدن الأخر في القيامة وهو ليس بمحذور بل واقع كما أشار إليه بقوله صلى الله عليه وسلم من كون ضرس الحَهَنَّمِيّ مثل أحد.

[٥٥٢] د : في الهامش : وجه التامل في هذا المقام؛ إن أريد بالعين الجوهرُ والذاتُ وليس بمردود ويشهد بصحته حديث أهل الجنة جُرْدٌ مُرْدٌ مُكَحَّلِين وحديث أن الجَهَنَّمِي ضرس مثل أحد. إن أريد بالعين الهيئة الحاصلة له في الدنيا

[553]فإن قلت: المَنفيُّ من كلام حجة الإسلام الغزالي قدس الله سره في كتاب **معراج السالكين** في المعراج السادس منه في دفع شبهة الفلاسفة في المعاد الجسماني ذهابُه إلى أن البدن المحشور غيرُ البدن الأول ذاتا.

فإنه قال: "وحجتهم أن الجسم مستحيل عن أغذية مأكولة، والأغذية نباتات ولحوم، وربما أكل شخص شخصا آخر فتجتمع جسم واحد من أجسام. فلو أعيد الجسم لبطل تلك الأجسام المأكولة ولَبطل حشرها، وإن حُشرت زال جسم هذا الأكل وهذا تطويل يستغنى عنه.

فإنا نقول: لا نلتزم لكم أن الله يعيد عين الأجسام بل ضمن أن يُرد الأنفس إلى خلق جديد وتراه كما فعل ابتداء. وقد ورد في[554] الخبر أن الله ينزل من السماء مطرا فيكون ذلك أصلا لخلقة الأجسام وهو قادر على اختراع ما يشاء. وكيف لا وقد قال علماؤكم المتقدمون من أهل الهند أن عمر العالم ستة وثلاثون ألف سنة، وقالوا أيضا خمسون ألف سنة على اختلاف بينهم، ثم يعود جديدا وتُبدَّل الأرض غير الأرض والسماواتُ ويرجع القطب اليماني شماليا، والشمالي يمينيا،والمعمور عامرا وبالعكس." انتهى كلام الغزالي.

لأنا نعلم أن المنفهم[555] من هذ؛ ان حشر الأجسام إنما هو بالخلق الجديد الآخَر بأن تتعلق الأنفس بالأبدان الجديدة المخلوقة من القطرات السماوية، لا بأن تتعلق بالبدن المخلوق من البدن

أو تطلق الغيرية على تبدل الصفة كما قال {يوم تُبدَّل الأرض غير الأرض والسماواتُ} كما يطلق على تبدل الذات فافهم.

[553] من هنا إلى بداية البيت الآخر ليست موجودة في نسخة د

[554] ح + في

[555] ح : لإنا نفهم

الأول، فحينئذ يلزم ان يكون جواب المتكلمين للفلاسفة بالتزام جواز إعادة المعدوم أو بجمع الأجزاء المتفرقة الأصلية غيرَ صواب.

قلنا: لا بد لنا من تقديم مثال وهو؛ أنا إذا فرضنا قطرة صغيرة من الماء مركبةً من ألف جواهر فردة، و[٥٥٦]انقلبت تلك القطرة هواء كانت جواهرها الفردة أيضا ألف جوهر، إذ الجواهر الفردة محفوظة في جميع مراتب الاستحالات. ثم إن ذلك الهواء الذي كان قبل الاستحالة ماء، [٥٥٧]إذا استحال بسب البرد ماء كان ذلك خلقا جديدا بناء على تجدد صفة المائية في تلك الجواهر الفردة، فكونه جديدا من حيث الصفة لا من حيث الجواهر والذات.

فإذا علمت هذا فلعل مراده قدس الله سره "أنا لا نلتزم لكم أن الله يعيد عين الأجسام" أي بصفاتها التي قد حصلت لها من الأجزاء الزائدة على الأجزاء الأصلية، بل ضمن أن يرد الأنفس إلى خلق جديد الذي كان قبل ذلك قطرا وهو قبل ذلك هواء، وذلك الهواء قبل الاستحالة ماء في القبر، وذلك الماء قبل الاستحالة لحما وشحما وعظما. وإنما التبدل والتجدد في الوصف لا في الجوهر والذات كما في قوله {يومَ تُبدَّل الأرض غير الأرض والسماواتُ}[٥٥٨]إذ المراد تبدل الوصف لا الذات.

فإن قلت: فما تقول في قوله تعالى{بدلناهم جلودا غيرَها...}[٥٥٩]؟ قلنا: غيرية[٥٦٠] الجلود مصرَّحة في هذه الآية بخلاف آية المعاد، بل العينية مصرحة فيها بالمعنى الذي ذهبنا إليه؛ فإنه سبحانه

---

[٥٥٦] ح : ثم إذا انقلبت

[٥٥٧] الأصل – إذا استحال بسب البرد ماء

[٥٥٨] سورة إبراهيم، الآية ٤٨.

[٥٥٩] سورة النساء، الآية ٥٦.

[٥٦٠] في الأصل "غير الجلود" والصواب ما هو في نسخة ح.

قال{قل يحييها الذي أنشأها أول مرة}[٥٦١] والضمير عائد إلى العظام التي كانت بيد السائل بقوله{من يحيي العظام وهي رميم}[٥٦٢] على أن ما قررناه لك فيما سبق يعطيك جريانه في الجلود فتأمل والله على كل شيء قدير.

فإن قيل: أوليس قوله تعالى {أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم}[٥٦٣] يعطيك أن البدن الأخروي مثل البدن الدنيوي لا عينه. قلنا: لم لا يجوز أن يكفي في المثلية في هذا المقام المغايرة بالوصف فتبصر. والحاصل أن قوله تعالى "يحييها" نصٌّ وإخبار منه تعالى بحشر الأجساد، وأخبر به النبي الصادق[٥٦٤] صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وذريته.

وواقع كل ما أخبر[٥٦٥] الصدوق به   من ممكن كصراط وكميزان

فيكون واقعا لإمكانه كصراط والميزان.[٥٦٦] والصراط؛ جسر ممدود على متن جهنم يَعبُر عنه الناس. هكذا وَرَدَ فالواجب الإيمان به. وأما التأويل فلا يخلّ عن ذل القدم؛ فإنه لا يدرى على تقدير تجويز التأويل أي لفظ يلحقه التأويل، نؤوِّل لفظ الصراط أو نؤول الجسر أو نؤول العبور والتخمين بالرأي[٥٦٧] لا يجوز.

---

[٥٦١] سورة يس، الآية ٧٩.

[٥٦٢] سورة يس، الآية ٧٨.

[٥٦٣] سورة يس، الآية ٨١.

[٥٦٤] ح : الصادق النبي

[٥٦٥] د : نص

[٥٦٦] د – فيكون واقعا لإمكانه كالصراط والميزان

[٥٦٧] ح – بالرأي

وهكذا ورد الخبر بوزن الأعمال، فلحوق التأويل بالوزن أو العمل وهكذا غيره من أحوال القيامة. فالواجب أن يؤمَن بها ويفوَّض علم حقيقتها إليه سبحانه وتعالى. [٥٦٨]وهذا ما قاله أبو حامد الغزالي قدس سره وينبغي للعاقل البصير أن لا يذهل عن معنى قوله تعالى{وما أوتيتم من العلم إلا قليلا}[٥٦٩] ومن أراد أن يقف على روح هذه المسائل وأراد أن يفتح أبوابها بمفاتيح الدلائل فعليه بمطالعة كتاب **النفخ والتسوية والروح**، وكتاب **الأسئلة والوصايا والقانون** للإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي رضي عنه ربه العلي.

ثم ليُعلم أن الصراط والميزان وأمثالهما مما أنكرته المعتزلة وأولوه بمقتضى رأيهم فوقعوا فيما وقعوا.[٥٧٠] قال روح الله تعالى روحه:

وكالحساب وأهوال القيامة أو   كحوض سيدنا فيها وكنيران

تفصيله مبسوط في الشروح.

ومن حياة قبور ما يذاق به   لذّات نعماءَ أوآلام ديدان

إنما أنكرت المعتزلة تنعيم القبر وعذابه لجعلهم ذلك من عالم الملك والشهود ولم يعلموا أنه من الأمور الملكوتية؛ فإنك في نومك تدخل الرياض فتشرب اللبن وتجامع النساء، ولذة النظر والشرب

[٥٦٨] من هنا إلى قوله "ثم ليعلم" ليست موجودة في نسخة د

[٥٦٩] سورة الإسراء، الآية ٨٥.

[٥٧٠] د + هذا ما قاله أبو حامد الغزالي رضي الله عنه

والجماع حاصلة فيك، فإنك فيه تدخل المحبس وتُضرَب وألَمُ الحبس والضرب حاصل لك كذا قال بعض الفضلاء، فافهم.

عقوبة الذنب عدل غير واجبة　　　　كذا المثوبة من إحسان منان

قال حجة الإسلام الغزالي قدس الله سره في المضنون به وغيره ما حاصله: "أن ترتب العقاب على المعصية ليس كانتقام الإنسان من بني نوعه باقتضاء غضبه عليه، بل كترتب الهلاك على شرب السم" انتهى.

فكما أن إهلاك السموم قد يُدفع بالترياق، إذا لم يَسر أثر السم إلى الأعضاء الرئيسية بأن يأكل الترياق قبل أن يرسخ أثر السم في تلك الأعضاء، كذلك الذنب سم والعقوبة أثره وقد تدفع بترياق التوبة والاستغفار وذلك إذا لم يرسخ في القلب حبه بأن يعالجه بالاستغفار والتوبة قبل أن يرسخ في القلب حبه[٥٧١] كما قال سبحانه{إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب...}[٥٧٢] كما قال البيضاوي قدس سره: "هذا حكم التوبة من المعصية ولسنا ممن يقول أن الذنب لا يغفر إلا بالتوبة فقط كما تقول به المعتزلة، بل نقول كما أن شرب السم قد لا يضر العاشق المحب بالعشق الشديد مع أن السم سمٌ إلا أن المحبة المفرطة والعشق الشديد تستران ضرره.

---

[٥٧١] د : حب الذنب في القلب

[٥٧٢] سورة النساء، الآية ١٧.

كذلك محبة الله عز وجل عبده تغلب على الذنب مع كونه ذنبا ويغفر ويستر ذنبه فإنه تعالى إذا أحب عبده أحب العبد مولاه. يشير إلى ذلك قوله تعالى{يحبهم ويحبونه...}[٥٧٣] فيقع الذنب من العبد مغفورا له تعقبه المغفرة ولا يكون الذنب فى حقه مباحا حاش الله كما لا يكون السم في حق العاشق ترياقا[٥٧٤]، بل الذنب ذنب في حقه إلا أن المغفرة تعقبه ولم يلحقه ضرره.

ولذا قال عليه السلام: "إذا أحب الله عبدا لم يضره الذنب" [٥٧٥] بأن يعقبه المغفرة والعفو، [٥٧٦]فإذا يكون العقاب تصرفا في الملك [٥٧٧]لطلبه العاصي في ثبوت عينه بلسانه الاستعدادي وإيجاد المطلوب ليس بظلم منه تعالى، بل الظلم وقع من العاصى لطلبه العصيان فإنه طلب لغير ما خلق له. قال تعالى{وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين}[٥٧٨] وما خلق له هو العبادة بقوله سبحانه{وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}[٥٧٩] فيكون عقوبة الذنب عدلا غيرَ واجبة. وأما كون المثوبة من إحسان منان[٥٨٠]؛ فلأن عين المذنب المستغفر تطلب الرحمة والعفو من اللطيف بعباده وقابلِ التوب، وعينَ

---

[٥٧٣] سورة المئدة، الآية ٥٤.

[٥٧٤] د – كما لا يكون السم في حق العاشق ترياقا

[٥٧٥] يذكره صاحب كشف الخفاء جزءً من حديث "التائب من الذنب كمن لا ذنب له" ويقول: وللديلمي وابن النجار والقشيري في الرسالة عن أنس بلفظ الترجمة وزيادة "وإذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب". انظر، **كشف الخفاء**، م ١، ص ٢٦٩.

[٥٧٦] من هنا إلى قوله "فيكون عقوبة الذنب" ليست موجودة في نسخة د

[٥٧٧] ح : وقد

[٥٧٨] سورة النحل، الآية ١١٨.

[٥٧٩] سورة الذاريات، الآية ٥٦.

[٥٨٠] د – وأما كون المثوبة من إحسان منان

المحبوب المحِبِّ تطلب المغفرة من غافر الذنب، وعينَ العبد المطيع تطلب الثواب من الرحيم الكريم ذي الفضل العظيم. فالكل يطلب ما يليق به من الذات الإلهية بإضافة الأسماء الحُسنى.

فإذا كان ثواب المطيع بلطفه وكرمه لا باستحقاق العبد ولا بمقابلة العبادات،

فكيف يلزمه طاعاتنا عِوضا   ونعمة الوقت توبوا كل شكران

المعنى التحقيقي في شرح الخيالي[٥٨١]. قال:

في العقل غفران شرك جائز لكن   أنى لها نص تخليد بنيران

اختلفوا في أن العفو عن الشرك والكفر جائز عقلا أم لا؟ بعد اتفاقهم على عدم العفو نقلا. فذهب أكثر الأشعريين إلى جوازه عقلا، والماتريديين إلى عدم جوازه عقلا، واختار الناظم في هذه المسألة مذهب الأشعرية.[٥٨٢]

تمسك أكثر الأشعريين بأن الذنب من حيث إنه ذنب واحد نوعي، فما يجوز لشخصي من ذلك النوع يجوز لشخصي آخر منه. ولأن الحُسن والقُبح شرعيان وليسا بعقليين، ولهذا أي ولكون العفو عن الشرك جائزا عقلا قال الخليل صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه {ومن عصاني فإنك غفور

---

[٥٨١] انظر، الخيالي، شرح القصيدة النونية، ص ٣٤٨.

[٥٨٢] د – واختار الناظم في هذه المسألة مذهب الأشعرية

رحيم}[583]، وقال عيسى صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه{إن تعذبهم فإنهم عبادك، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم}.[584]

وتمسك الماتريديون بأن دوام العذاب وانقطاعه بدوام النيات [585]والعزائم وانقطاعهما[586]، فإن الكافر لما كانت نيته[587]وعزمه على أن لا يتركَه كان عذابه إلى الأبد كما أنبأ عنه تعالى بقوله{ولو رُدوا لعادوا لما نُهوا عنه...}[588]، {إنا كاشف العذاب قليلا إنكم عائدون}[589]، {فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون}.[590]

لا يقال: لا نسلم أن دوام النية يستلزم دوام العذاب، كيف ومدمن الخمر والمصر على الزنا يجوز عفوه بلا توبة عندنا وعندكم وفاقا؟

---

[583] سورة إبراهيم، الآية ٣٦.

[584] سورة المائدة، الآية ١١٨.

[585] د + ودوام

[586] د - وانقطاعهما

[587] د - إلا بدو

[588] سورة الأنعام، الآية ٢٨.

[589] سورة الدخان، الآية ١٥.

[590] سورة العنكبوت، الآية ٦٥.

لأنا نقول: مرادهم بقولهم "إن دوام العذاب بدوام النيات" أن دوام عذاب المشرك والكافر بدوام نيته في الشرك والكفر خاصة[٥٩١]، [٥٩٢]إذ كان مستصوبا إياه بخلاف نية مدمن الخمر والمصر على الزناء. إذ المصر على المعاصي لا يستصوبها بل يعترف بكونه مذنبا فافهم.

لما ذكر أن العفو عن الشرك و الكفر جائز عند العقل أم لا، أراد أن يذكر أن الجنة والنار اللتين هما محل الرحمة والثواب، ومحل الانتقام والعقاب موجودتان الآن فقال روح الله تعالى روحه[٥٩٣]:

أعدت الجنة استدعى تكوينها ونقل آدم منها بعد إسكان

قال بعض المعتزلة **كالجبائي**[٥٩٤] وغيره: لم لا يجوز أن تكون الجنة التي أسكن فيها آدم عليه السلام حديقة من حدائق الدنيا؟

---

٥٩١ د + لا في الذنب مطلقا، وفي الهامش : شركا كان أو غيره من الكبائر.

٥٩٢ د + فإن الكلام فيه فافهم هذا ولكن التوقف في هذه المسئلة أسلم والله أعلم. وفي الهامش : ووجه الأمر بالفهم أن نية العاصي كنية الكافر؛ فإن العاصي لا يستصوب ما ارتكبه بخلاف الكافر.

٥٩٣ هنا تغيرت العبارة في الفقرة وهي : لما ذكر الوعيد لأهل الكفر والشرك بالعذاب المخلَّد، ذكر الثواب لأهل الإيمان بإعداد الجنان لهم من عناية المنان مضمنا مسئلة ان الجنة موجودة الآن.

٥٩٤ أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن جمران بن أبان، مولى عثمان بن عفان، رضي الله عنه، المعروف بالجبائي أحد أئمة المعتزلة؛ كان إماما في علم الكلام، وأخذ هذا العلم عن أبي يوسف يعقوب بن عبد الله الشحام البصري رئيس المعتزلة بالبصرة في عصره، وله في مذهب الاعتزال مقالات مشهورة، وعنه أخذ الشيخ أبو الحسن الأشعري شيخ السنة علم الكلام، وله معه مناظرة تعرف **بالإخوة الثلاثة**. وتوفي في شعبان سنة ثلاث وثلثمائة، رحمه الله تعالى. انظر، ابن خلكان، **المرجع السابق**، م ٤، ص ٢٦٩.

والجواب أن قوله تعالى{إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى، وأنك لا تظمؤ فيها ولا تضحى}[٥٩٥] يبطل ذلك إذ الجنة الموصوفة بهذا الوصف ليس إلا دار الثواب لقوله تعالى نقلا عن أهل الجنة{لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب}[٥٩٦] فافهم.

---

[٥٩٥] سورة طه، الآية ١١٨ ـ ١١٩.

[٥٩٦] سورة ق، الآية ٣٨.

نعيمها أبدي لا زوال له　　　　وأكلها دائم لا إنه فان

لا يقال نِعَم أهل الجنة وأكلها معلومة له تعالى، وكل معلوم له تعالى محاط بعلمه؛ لأن علمه تعالى محيط، وكل محاط متناه، فنعمها وأكلها متناهية وهو محال. لأنه يجاب:

علمه تعالى محيط بحقائق كل معلوم فلا يلزم تناهي المعلوم من كونه محاطا، وإنما يلزم ذلك لو كان المحاط حسيا من قبيل الكَم[٥٩٧]، وأما إذا كان عقليا فلا يلزم من كونه محاطا كونه متناهيا فافهم هذا.

[٥٩٨]وقال الإمام حجة الإسلام الغزالي قدس الله سره في كتاب **معراج السالكين** في المعراج الثالث منه: "فإن قيل: فالمعلومات؛ أهي متناهية أم لا؟ قلنا: هذا سؤال يفتقر إلى التفصيل فلا يخلوا السائل أن يضيف التناهي إلى المعلومات. فمن ضرورة العقل أن يكون المعلوم محاطا به فمحدود، وكل محدود متناه، فكل معلوم متناه ـ كان المعلوم في القوة أو خرج إلى الفعل.

فإذا العالم بأسره كله من الكرة التاسعة وما تحويها وتوابعها؛ من أجناسها وأنواعها وأشخاصها وما يلزم عنه متناه محصور في علم الله سبحانه وتعالى. فإن قيل: هذا مُسَلَّمٌ ولكن السؤال؛ هل الباري تعالى عالم بما لا يتناهى أم لا؟ قيل: هذا سؤلا مستحيل من هذا الوجه، فإن كل معلوم متناه فكان حاصل السؤال أن يقول "كل غير متناه متناه أم لا؟ وهذا انحراف عن صوب الصواب.

---

[٥٩٧] د ـ من قبيل الكم

[٥٩٨] من هنا إلى البيت الآخر ليست موجودة في نسخة د

فإن قيل: فهل يقال يصلح أن يكون العلم حاصرا للمتناهي أم لا؟ قلنا: العلم في نفسه لا يصلح الاتصاف به متى فرض إلا مضافا إلى معلوم وإلا يطلب خاصيته، فمتى أضيف كان المعلوم منحصرا، فنُفي أن يقال ذلك على وجه واحد وهو أن يكون العلم القديم تعلق بأن عوالم تتعاقب، وهي متى أضيفت إلى نفسها انحصرت، ومتى أضيف الحصر والتناهي إلى علم الله سبحانه بطل؛ لأن العلم لا يقال فيه متناه أو غير متناه وهذا أصل الغلط. فربما ظن من لا حقيقة عنده أن المعلومات متى كانت متناهية كان علم الله سبحانه متناهيا، وهيهات ما قدروا الله حق قدره! فالمعلومات هي المتصفة بالنهاية من حيث يقبل التناهي، حتى زعم أكثر المتكلمين أن الكيفيات لا يقال فيها متناهية أو غير متناهية، فكيف بعلم الباري سبحانه! فإنه ليس من قبيل الأعراض ولا من قبيل الجواهر. فكيف ما أردت المسألة رجع حكم النهاية إلى المعلوم لا إلى العلم. وذلك لا ينقص من قدر الله ولا يقال له بذلك عاجز." انتهى كلامه[٥٩٩].

فإن قيل: هذا ينافي ما ذكرتَه في ما سبق من قولك "وأما إذا كان المحاط عقليا، فلا يلزم من كونه محاطا، كونُه متناهيا" إذ الغزالي رضي الله عنه صرح هنا بكونه محدودا متناهيا.

يقال في الجواب: المعلوم على ثلاثة أوجه؛

الوجه الأول: المعلوم الموجود الخارجي المحدود المحاط فهو متناه،

الوجه الثاني: المعلوم الموجود المنتقش في اللوح المحفوظ فهو غير متناه،

---

[٥٩٩] ح – كلامه

الوجه الثالث: المعلوم في الصور العلمية القائمة بذاته تعالى فهو لا يوصَف بالتناهي ولا بعدم التناهي.

فقول الفقير"وأما إذا كان المعلوم عقليا" إلخ. هو الوجه الثاني، فإنه لا يلزم من كونه محاطا كونه متناهيا. صرح بذلك الغزالي قدس الله سره في كتاب **النفخ والتسوية والروح** حيث قال فيه: " إن جميع ما يكون وما كان مسطور ثابت في شيء خلقه الله تعالى، تارة يُسمى لوحا، وتارة يُسمى إماما، وتارة يسمى كتابا، كما في قوله تعالى{في إمام مبين}[٦٠٠]. وثبوت الأشياء فيه كثبوت القرآن في دماغ الحافظ للقرآن فليس مثل الرقوم المكتوبة المرتبة في جسم متناه لأن غير المتناهي لا يمكن أن يُكتب في المتناهي."انتهى كلامه فافهم وتبصر. قال روح الله روحه ونور قبره:

أهل الكبائر غير التائبين لهم رجاء عفو بزعم الحاسد الشان[٦٠١]

لعله أراد ب"الحاسد الشان" الفرقتين المعتزلة والخوارج. ثم إن الأَولى أن يقول "بقمع الحاسد الشان" لئلا ينساق الذهن إلى سؤال أبي ذر رضي الله عنه، وفيه تأمل.قال رحمه الله تعالى:

إذ لا عقوبة تُعفى عنده معها ولم يقيد بها آيات غفران

ولا نخص أحاديث الشفاعة ما ليست تعم لأوقات وأعيان

تحقيقات معاني هذه الأبيات قد ذكرت في الشروح فعليك بها

---

[٦٠٠] سورة يس، الآية ١٢.

[٦٠١] شرح هذا البيت لا يوجد في نسختي ح و د

وللرسول بل للأخيار كلهم   شفاعة للعصاة عند رحمن

إنما قال "عند رحمن" ولم يقل عند حنان أو منان؛ إذ لا يتحقق الإذن للشفعاء إلا بالإذن الرحماني يعني مظهرية اسم الرحمن فتبصر.[٦٠٢]

قال الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي قدس الله تعالى سره في كتابه **المضنون به** وفي كتابه **النفخ والتسوية والروح** ما حاصله: "أن حقيقة الشفاعة نور مشرِق من الحضرة الإلهية على جوهر النبوة، وبواسطته إلى من له المناسبة من المؤمنين ممن استحكمت مناسبته مع جوهر النبوة بشدة المحبة والمواظبة على السُّنَن، وكثرة الذكر له صلى الله عليه وسلم بالصلاة عليه. ومثاله؛ ضوء[٦٠٣] الشمس إذا وقع على الماء فإنه ينعكس منه إلى موضع مخصوص من الحائط ومنه إلى جميع المواضع. وإنما يختص بتلك[٦٠٤] المناسبة بينه وبين الماء في الموضع، وتلك المناسبة مسلوبة عن سائر أجزاء الحائط." انتهى.

فعُلم من هذا التقرير أن المناسبة على وجهين الأعلى والأدنى؛

فالأعلى: هي مناسبة التبعية والمحبة والانقياد في العقائد والأفعال والأقوال والأحوال والأخلاق حالا[٦٠٥] وتخلقا[٦٠٦]،

---

[٦٠٢] ح، د – إنما قال "عند رحمن" ولم يقل عند حنان أو منان؛ إذ لا يتحقق الإذن للشفعاء إلا بالإذن الرحماني يعني مظهرية لاسم الرحمن فتبصر.

[٦٠٣] د : نور

[٦٠٤] كتب في الأصل "ذلك" والظاهر أنه خطأ.

[٦٠٥] د + ومقاما

[٦٠٦] د + وتحققا

والأدنى: وهي الاتصاف بالإيمان ساذجةً عن الأعمال الصالحات، ولهذا يخرج بشفاعته من النار من قال "لا إله إلا الله محمد رسول الله[٦٠٧]" وبينهما مناسبات كثيرة لا يحصى مراتبها.

ثم إن الشفاعة أقسام وإن كانت حقيقتها واحدة وهي المناسبة بين الشفيع والمشفَّع فيه[٦٠٨]، قولي[٦٠٩]؛ وهي أن يقول الشفيع للسلطان في حق من جنى له :أطلب منك التجاوز عنه، وفعلي[٦١٠]؛ وهي أن يجلس الشفيع عند الملك ويحضر الجاني بحضرة الملك[٦١١] ويكرمه عند الملك، ورأي الملك ذلك الإكرام الموجب لاستناده إلى الشفيع من الشفيع[٦١٢] بحضرته فيعتقد أن في مؤاخذة الجاني انكسار خاطر الشفيع، وحالي[٦١٣]؛ وهي أن يكون الجاني في كنف الشفيع فافهم.

وللدعاء لأموات وأحياء   منافع شوهد في بعض أحيان

اعلم أنه كما أن الأموات تنتفعوع بدعاء الأحياء، كذلك الأحياء ينتفعون بالأموات من جهة الروحانية [٦١٤]ولأجل كون الانتفاع من جهة الروحانية قال"شوهدت في بعض أحيان" ولم يقل "أثبتت" في قول خلان،[٦١٥] فالأقسام ههنا ثلاثة؛

---

[٦٠٧] د – محمد رسول الله

[٦٠٨] د - وإن كانت حقيقتها واحدة وهي المناسبة بين الشفيع والمشفَّع فيه

[٦٠٩] ح : قولية

[٦١٠] ح : فعلية

[٦١١] د : وهو ان يجلس الجاني بحضرة الملوك والوزراء.

[٦١٢] د - الموجب لاستناده إلى الشفيع

[٦١٣] ح : حالية

[٦١٤] من هنا إلى قوله "فأدرج الناظم" لا يوجد في الأصل.

[٦١٥] د - ولأجل كون الانتفاع من جهة الروحانية قال"شوهدت في بعض أحيان" ولم يقل "أثبتت" في قول خلان.

انتفاع الأموات بالأحياء من جهة الدعاء، وانتفاع الأحياء بالأحياء من جهة الدعاء أيضا، وانتفاع الأحياء بالأموات من جهة الروحانية. فأدرج الناظم في هذا البيت هذه الأقسام. والقسم الأخير، هو[٦١٦] الانتفاع بزيارة القبور.

وأنكرت المعتزلة انتفاع الأموات بدعاء الأحياء واستدلوا عليه بأنه ليس للإنسان إلا ما سعى، وسعيه متناه عند الموت فليس له إلا ما كسبه، ولو انتَفع بسعي الغير لكان خلافَ قوله تعالى {وأن ليس للإنسان إلا ما سعى}[٦١٧] ورُد هذا الاستدلال بأن الانتفاع بدعاء الأحياء إنما هو من سعي الأموات حين كونها في الدنيا من سعيهم بقضاء حوائج المؤمنين، والبرِّ والإحسان إليهم، وتعليمهم وإرشادهم وغير ذلك فتبصر.

وأنكر بعض العلماء انتفاعَ الأحياء من جهة الدعاء[٦١٨] بالأحياء مسدتلين بمثل ما استدل به المعتزلي ورد بما رد استدلالهم به. وأنكر بعضهم انتفاع الأحياء بالأموات بناء على أن الميت لا يعلم بعد الموت شيأ من أمور الدنيا ولا يشفعون في الأحياء، وإنما الشفاعة في يوم القيامة فتبصر. ولكن أثبت ذلك[٦١٩] الإمامان الهمامان الإمام حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد الغزالي والإمام فخر الدين محمد بن[٦٢٠] عمر الرازي رضي عنهما ربهما ونفعنا الله تعالى بهما،

---

[٦١٦] ح – هو

[٦١٧] سورة النجم، الآية ٣٩.

[٦١٨] د – من جهة الدعاء

[٦١٩] د : ورّدَّ هذا القول

[٦٢٠] ح + محمد بن

أما الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رضي الله عنه فقد قال في **المضنون به والنفخ والتسوية والروح** وغيرهما[٦٢١] من كتبه، أما في المضنون فقال:

" فصل: أما التقرب بمشاهدالأنبياء والأئمة عليهم السلام؛ فإن المقصود من الزيارة الاستمداد من سؤال المغفرة وقضاء الحوائج من أرواح الأنبياء والأئمة عليهم السلام، والعبارة عن هذا الإمداد الشفاعة وهذا يحصل من وجهين؛

الاستمداد من هذا الجانب والإمداد من الجانب الآخر. ولزيارة المشاهِد أثرٌ عظيم في هذين الركنين. أما الاستمداد فهو بانصراف همة صاحب الحاجة باستيلاء ذكر الشفيع والمَزور على الخاطر حتى تصير كلية همته مستغرقة في ذلك ويقبل بكلية ذكره وخطوره بباله وهذه الحالة سبب منه لروح ذلك الشفيع والمزور حتى يمُده تلك الروح الطيبة بما يستمد منها. ومن أقبل في الدنيا بهمته وكليته على إنسان في دار الدنيا فإن ذلك الإنسان يُحِس إقبال ذلك المُقبِل عليه ويُخبَر بذلك، فمن لم يكن في هذا العالم فهو أولى بالتنبه وهو مهيَّئٌ لذلك التنبه. فإن اطلاع من هو خارج عن أحوال العالم على بعض أحوال العالَم ممكنٌ كما تطلع في المنام على أحوال من هو في الآخرة أهو مثاب أو معاقَب؟ فإن النوم صِنو الموت وأخوه فبسبب النوم صرنا مستعِدين لمعرفة أحوال لم نكن مستعدين لها[٦٢٢] في حال اليقظة. فكذلك من وصل دار الآخرة ومات موتا حقيقيا كان بالاطلاع على أحوال هذا العالم أولى وأحرى.

---

٦٢١ د – والنفخ والتسوية والروح وغيرهما

٦٢٢ د – لها

فأما كلية أحوال هذا العالم في جميع الأوقات فلم يكن مندرجة في سلك معرفتهم كما لم تكن الاحوال الماضية حاضرة في معرفتنا في منامنا عند الرؤياء. ولآحاد والمعارف معيّنات ومخصصات منها همة صاحب الحاجة، وكما تؤثر مشاهدة صورة الحي في حضوره وذكره وخطور نفسه بالبال، فكذلك تؤثر مشاهدة قالب الميت ومشاهدة تربته التي هي حجاب قالبه.

فإن قيل: إن أثر ذكر الميت في النفس عند غيبته وغيبة مشهده كما هو بحضرته عند مشاهدة قالبه[٦٢٣] ومشهده. فذلك ظنٌّ خطأ؛ فإن للمشاهد[٦٢٤] أثرا بينا ليس للغيبة مثله ومن استعان في الغيبة بذلك الميت لم يكن هذه الاستعانة أيضا جزافا ولا يخلوا من أثر كما قال صلى الله عليه وسلم: "من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا" [٦٢٥] أو"من أجاب المؤذن حلت له شفاعتي" "ومن زار قبري حلت له شفاعتي"[٦٢٦] فالتقريب بقالبه الذي هو أخص الخواص ووسيلة تامة متقاضية للشفاعة والتقرب بولده الذي هو بضعة منه ولو بعد توالد وتناسل، والتقرب بمشهده ومسجده وبلدته وعصاه وسوطه ونعله وعصارته، والتقرب بعادته وسيرته، والتقرب بكل ما له مناسبة إليه تقربٌ موجِب للقرب إليه ومقتض لشفاعته؛ فإنه لا فرق عند الأنبياء في كونم في دار الدنيا وكونهم في دار الآخرة إلا في طريق المعرفة.

---

[٦٢٣] شطب عليه في نسخة د

[٦٢٤] د : المشاهدة

[٦٢٥] انظر، النسائي، **السنن**، م ٩، ص ٣٠، الحديث ٩٨٠٦، أبو يعلى التميمي، **المسند**، دار المأمون للتراث، م ٧، ص ٧٥، الحديث ٤٠٠٢، طبراني، **المعجم الأوسط**، دار الحرمين، م ٥، ص ١٦٢، الحديث ٤٩٤٨.

[٦٢٦] أخرجه الدارقطني بلفظ "وجبت له شفاعتي"، انظر، الدارقطني، **السنن**، مؤسسة الرسالة، م ٣، ص ٣٣٤، الحديث ٢٦٩٥.

وذكره البيهقي في **السنن الكبرى** بلفظ آخر وهو: من زار قبري أو قال: من زارني كنت له شفيعا أو شهيدد إلخ. انظر، **السنن الكبرى**، دار الكتب العلمية، م ٥، ص ٤٠٣، الحديث ١٠٢٧٣.

فإن آلة المعرفة في دار الدنيا الحواس الظاهرة وفي العقبى آلة بها تعرَف الغيب إما في كسوة مثال وإما على سبيل التصريح" انتهى. وأما في غير المضنون به والنفخ والتسوية[٦٢٧] فعليك بكمياء السعادة والإحياء.

وأما الإمام فخر الدين الرازي قدس الله روحه فقد قال في **المطالب العالية** في بحث الانتفاع بزيارة القبور:

"سألني بعض أكابر الملوك ـ وهو السلطان محمد بن السلطان حسين بن سام الغوري وكان محبا للعلماء رحمه الله تعالى ـ عن هذه المسألة وصنفت فيها رسالة له وأنا أذكر لك ملخص ما فيها."

يقول هذا الفقير: وأنا أذكر لك ملخص ما لخصه الإمام قدس سره من تلك الرسالة مع نوع من الإيضاح[٦٢٨] وهو أنه لا بد لنا من ثلاث مقدمات؛

الأولى: أن النفوس الناطقة بعد مفارقة الأبدان باقية لما بُرهن عليه في موضعه،

والثانية: أن تعلق النفس بالبدن تعلقٌ يشبِهُ تعلقَ العاشق بالعشق الشديد بالمعشوق، وذلك التعلق لا يزول بالكلية عن البدن بل يبقى فيه بنحو آخر. وبعد خراب البدن يتعلق الروح بالتربة ولا يزول إلا بعد حين،

والثالثة: أن النفوس الناطقة مدرِكة للجزئيات بعد المفارقة.

---

[٦٢٧] د - والنفخ والتسوية

[٦٢٨] د - مع نوع من الإيضاح

فإذا علمت هذه الثلاثة، فإذا كنت زائر تربةِ كاملٍ، ووقفت عندها بالتضرع والخشوع لله تعالى، وقرأت ما تيسر لك وأهديت ثوابه إلى[٦٢٩] المَزور، وتوجهت بكليتك إلى قبره وتربته مستشفعا منه، فقد حصلت لروحك مع روح المَزور ملاقات معنوية؛ إذ كان روحه متعلقا بتربته بنحو من التعلق الآخر فيحصل عند التربة ملاقات الروحَين. فالكمال في الحاصل لروحك من العلوم والمعارف مكتسب برهاني، فيحصل لروح المزور من إدراك كمالك رَوحٌ بفتح الراء ونور وبهجة، والكمالات الحاصلة[٦٣٠] لروح المزور كشفية عيانية؛ فإن ما ثبت عندك بالبرهان، ثبت عنده بالعيان لكون الأمور الملكوتية مكشوفة لهم. فيحصل لروحك رَوحٌ ـ بفتح الراء ـ وبهجة وانكشاف فيكون الروحان كمرآتين ينعكس ما في إحداهما في الآخر. ويمتد روحه لك فتستفيد منه وينعكس إليه نور عبادتك المكسوبة لك[٦٣١] وهو نور ثوابك. فلهذه شُرعت زيارة القبور وفيه أسرار أُخر. انتهى ملخصا وموضحا[٦٣٢].[٦٣٣]

---

[٦٢٩] د + روح

[٦٣٠] والكمال الحاصل

[٦٣١] ح، د + فيستفيد من روحك كمالاتٍ مكسوبةً لك

[٦٣٢] د – موضَّحًا

[٦٣٣] الرازي، المطالب العالية، م ٧، ص ٢٧٥ ـ ٢٧٨.

وقال الشيخ **عبد الوهاب الشعراني**[٦٣٤] الشافعي الشاذَّلِي قدس سره في بعض تصانيفه نقلا عن شيخه وهو عن شيخه الشيخ الكبير السيد الشريف الحَسَني أبي الحسن علي الشاذلي[٦٣٥] [٦٣٦]، رضي عنه ربه الولي أنه قال:

" إني وجدت روحانية الإمام حجة الإسلام أبي حامدٍ الغزالي رضي الله عنه أسرع إجابة في المهمات." انتهى ملخصا.

[٦٣٧]يقول هذا الفقير: فلا يَبعُد أن يكون أرواح الكُمَّل بعد المفارقة متعلقة بنحو من التعلق بآثارهم من تصنيفاتهم، وأحزابهم، وأورادهم، وأولادهم، وأزواجهم، وخُدَّامهم، وأتباعهم[٦٣٨]، وما يختص بهم في حياتهم، ومحالِّ عباداتهم. فكذلك إني[٦٣٩] قد جربت كثيرا في مهم شرعي؛ أن من أخذ

---

[٦٣٤] عبد الوهاب بن احمد بن علي بن احمد بن محمد بن موسى الشعراني، الانصاري، الشافعي، الشاذلي، المصري (أبو المواهب، أبو عبد الرحمن) فقيه، اصولي، محدث، صوفي، مشارك في انواع من العلوم. ولد في قلقشنده بمصر في ٢٧ رمضان، ونشأ بساقية ابي شعرة من قرى المنوفية، وتوفي بالقاهرة سنة ٩٧٣. من تصانيفه؛**المقدمة النحوية في علم العربية، شرح جمع الجوامع، لواقح الانوار في طبقات الاخيار**. انظر، معجم المؤلفين، م ٦، ص ٢١٨.

[٦٣٥] الشيْخ الشاذلي علي بن عبد الله بن عبد الْجبار بن تمِيم بن هرْمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوسف أبو الْحسن الشاذلي المغربي الزاهد، نزيل الْإسْكندرية وَشيخ الطائفة الشاذلية. وَقد انتسب في بعض مصنفاته إِلَى علي بن أبي طَالب فقَال بعد يوسف الْمذْكور ابن يوشع بن برد بن بطال بن أَحْمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الْحسن بن علي رضي الله عنهما. وَكان الشاذلي ضريرا حج مرات وَتوفي بصحراء عيذاب قاصدا الْحج فَدفن هناكَ في أول ذي الْقعدة سنة ست وَخمسين وست مائَة. من تصانيفه؛ **الحزب الصغير، الحزب الكبير**. انظر، الصفدي، **الوافي بالوفيات**، م ٢١، ص ١٤٢.

[٦٣٦] ذكرت العبارة في نسخة د بتغير يسير: قال الشيخ عبد الوهاب الشافعي الشاذلي الشعراني قدس الله سره في بعض تصانيفه : يقول شيخي وسندي وسيدي السيد الشريف الحسيب النسيب أبو الحسن الشيخ علي الشاذلي.

[٦٣٧] ح + و

[٦٣٨] د – وأزواجهم، وخُدَّامهم، وأتباعهم

[٦٣٩] د : فإني

بيده كتاب البخاري، أو كتاب مسلم[٦٤٠]، أو كتاب الإحياء، أو كتاب الفتوحات، أو كتاب المثنوي، أو غيره، ورفعه إلى صدره غامِضا عينيه فيقرأ إحدى عشرة مرة سورةَ الإخلاص، وسبع مرات فاتحة الكتاب، وأول البقرة إلى "المفلحون" ـ كل ذلك مع البسملة ـ، وخواتيم سورة البقرة خالصا مخلِصا لله عز وجل، وجعل ثواب ما قرأه هديَّةً لروح مؤلف ذلك الكتاب؛ فإنه ينشرح صدره، ويُكشف كربه، ويُنجَى من غمه، وتتيسر أموره بإذن الله عز وجل وكرمه، فافهم ذلك.

ثم ليُعلم أن هذا الذي ذكرته إنما هو بطريق الاستشفاع وتحصيل المناسبة والتوسل لا بطريق أن هذا الفعل موجِب ومؤثر بالذات في حصول المطلوب[٦٤١]؛ فإن الفاعل الحقيقي، والخالق البديع، والرزاق، والمعطي، والمانع، والنافع، والضارَّ[٦٤٢] هو الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا، والله تعالى يهدي إلى سواء السبيل.

وليس يدخل في الإيمان أعمال   بل ليس ذا غير تصديق و إذعان

المباحث والأسئلة والأجوبة قد بُسطت في كتب الكلام و في الشروح. ثم ليعلم أن حقيقة الإيمان كتبه تعالى في قلب العبد التصديق كما قال{أولئك كتب في قلوبهم الإيمان}[٦٤٣] وهذا الإيمان ثابت[٦٤٤] لا يزول أبدا. قال تعالى{يُثَبِّتُ الله الذين آمنوا باالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة}[٦٤٥]

---

[٦٤٠] د – أو كتاب مسلم

[٦٤١] د – لا بطريق أن هذا الفعل موجِب ومؤثر بالذات في حصول المطلوب

[٦٤٢] ح، د : والضار والنافع

[٦٤٣] سورة المجادلة، الآية ٢٢.

[٦٤٤] د – ثابت

[٦٤٥] سورة إبراهيم، الآية ٢٧.

[٦٤٦] والذين آمنوا هم الذين كُتب في قلوبهم الإيمان وذلك لِسبق الحُسنى من الله تعالى لهم[٦٤٧] كما قال سبحانه{إن الذين سبقت لهم منا الحُسنى أولئك عنها مُبعدون}[٦٤٨]الآية.

وأما ظهور[٦٤٩] التصديق بدون الكتب الإلهي فهل يسمى إيمانا أم لا؟ فذهب أكثر الماتريديين[٦٥٠] إلى أنه إيمانٌ بناء على تبدل السعيد شقيا وبالعكس، وذهب[٦٥١] بعض الأشعريين الذاهبين إلى مذهب الموافاة المنسوب إلى **الشيخ أبي الحسن الأشعري** رضي الله عنه إلى أنه ليس بإيمان لزواله، وكل تصديق يكون زائلا فهو في الحقيقة غير تصديق معتبر[٦٥٢]؛ كتصديق إبليس وبَلعم وبرصيصا وسائر المرتدين ـ العياذ بالله تعالى، اللهم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك انت الوهاب[٦٥٣]، اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة ـ وذلك بناء على أن السعيد سعيد في بطن أمه، والشقي شقي في بطن أمه.

فإن قلت: هل لهذا الكَتْب علامات؟ قلت: له علامات ذكرها العلماء انظر إلى الكُتُب، وطالع كتاب الإحياء وغيره من كتب الأخلاق واجتهد أن تكون موصوفا بالأخلاق الحميدة والاعتقادات الحقة حتى تعرف علامة كَتْب الإيمان في قلبك[٦٥٤] من جهد الوجدان فيحصل في قلبك الإقبال على

---

[٦٤٦] د : في الهامش : إذ لا تبدل لكلكات الله لقوله سبحانه {ما يبدل القول لدي}

[٦٤٧] في الأصل : بهم

[٦٤٨] سورة الأنبياء، الآية ١٠١.

[٦٤٩] د : حصول

[٦٥٠] ح : الماتريدية

[٦٥١] د – ذهب

[٦٥٢] د – وكل تصديق يكون زائلا فهو في الحقيقة غير تصديق معتبر

[٦٥٣] د – اللهم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك انت الوهاب

[٦٥٤] من هنا إلى قوله "عندنا علامة" ليست موجودة في نسخة د

محبة الله تعالى، ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور.

وأما من جهة العلامة الظاهرة فليس عندنا علَامة بها نعرف المؤمن إلا إقراره بلسانه. فكما أن الإقرار دليل وجود التصديق في القلب، كذلك

الشرع قد عد شد المرء زنارا دليل جحد كتعظيم الأوثان

ولا يغاير إيمان وإسلام ولم يكن لهما في الشرع حكمان

لا ينبغي الشك في الإيمان من أحد وإن نوى منجيا في يوم هجران[٦٥٥]

وللمقلد إيمان يثاب به وإن يك عاصيا في ترك معان[٦٥٦]

لا عذر من أحد في جهل خالقه إن نال مدة فكر عند نعمان

وليس مرتبة للعبد مسقطة تكليفه كمجانين وصبيان

قد يخطئ المرء في فتواه مجتهدا كحكم داود مع فتيا سليمان

ولا عقاب بترك اللعن في أحد في حق إبليس وهو الكافر الجان

[٦٥٥] هذا البيت لا يوجد في نسخة د

[٦٥٦] د + الشروح قد أغنت عن شرحي

ليس مراد الناظم من قوله "وهو الكافر الجان" بيان[٦٥٧] كون الإبليس من الجن بل هو من الجناية إلا أن الناظم قال بهذا اللفظ إظهارا لبلاغة كلامه.

أُختُلف في إبليس في أنه من الملك أو من الجن؟ فمن قائل بالأول لما أن الأصل في الاستثناء الاتصالُ في قوله تعالى{إلا إبليس} وهو يقتضي كونه من الملك،واعتُرض على هذا بأن الملائكة معصومون فلا يكون إبليس منهم لكونه كافرا.

وأجيب بأن كون كل الملائكة معصومين ممنوعٌ لجواز أن يكون حكم[٦٥٨] العصمة فيهم حكما أكثريا لا كليا، كما أن عدم العصمة في الإنسان أكثري لا كلي. فلِمَ لا يجوز أن يكون بعضهم غيرَ معصوم وأكثرهم معصوما كما كان[٦٥٩] أكثر الإنسان غير معصوم وبعضهم وهم هم[٦٦٠] الأنبياء عليهم السلام معصوم؟

واعترض أيضا بأن الملائكة خُلقت من نور وإبليس من نار لقوله{خلقتني من نار}[٦٦١] فكيف يكون من الملائكة؟ وأجيب بأن النور قد يطلق على النار وقد يطلق النار على النور لاشتراكهما في روح الإشراق.

---

[٦٥٧] ح، د - بيان
[٦٥٨] الأصل، د - حكم
[٦٥٩] ح : أن
[٦٦٠] الأصل، د - هم
[٦٦١] سورة الأعراف، الآية ١٢.

ومن قائل باثاني لقوله تعالى{كان من الجن ففسق عن أمر ربه} وهذا صريح في كونه من الجن. واعتُرض عليه بأنه يجوز أن يكون معنى[٦٦٢] الجن المستور عن أعين الناس وهذا المعنى يوجد في الملائكة بلا شك ولهذا يقال للولد في بطن أمه جنين. قال تعالى{وانتم أجنة في بطون أمهاتكم}

ثم اعلم أن مختار الإمام فخر الرازي والبيضاوي قدس الله روحهما كونه من الملائكة على ما يشهد به من تتبع تصانيفهما فتأمل. قال:

فلن يزيد يزيد منه مفسدة فاسكت ولا ترض لوما باسم لعان

لعَّنَهُ العلامة التفتازاني تغمده الله برضوانه في شرح العقائد وشرح المقاصد وتبعه بعض المحققين. وقال **علي القاري**[٦٦٣] رحمه الله تعالى معترضا على العلامة التفتازاني في **شرح فقه الأكبر** بأن هذا[٦٦٤] جسارة من التفتازاني فالأولى كف اللسان فلعله يغفر، فحُسن الظن بالمؤمن أولى. انتهى مآلا.

فأقول: فحسن الظن بالتفتازاني أولى من حسن الظن بيزيد[٦٦٥] وأقول أنا مع التفتازاني وأقول بما يقول به في هذا الباب. لا حشرني الله تعالى مع يزيد وأعوانه عليهم لعنة الله والناس أجمعين.

---

[٦٦٢] د : وأجيب بجواز المراد

[٦٦٣] علي بن (سلطان) محمد، نور الدين الملّا الهروي القاري: فقيه حنفي، من صدور العلم في عصره. ولد في هراة وسكن مكة وتوفي بها. قيل: كان يكتب في كل عام مصحفا وعليه طرر من القراآت والتفسير فيبعيه فيكفيه قوته من العام إلى العام. وصنف كتبا كثيرة، منها؛ **شرح مشكاة المصابيح**، **ضوء المعالي شرح بدء الأمالي**، شرح الفقه الأكبر. وتوفي عام ١٠١٤. انظر، الزريكلي، الأعلام، م ٥، ص ١٢.

[٦٦٤] د + جُرأة

[٦٦٥] د – بيزيد

أما منا بإشارات الرسول أبو بكر   كما أجمع القاضي مع الداني

وبعد نص أبو بكر لفاروق   وبعده صار شورى بين أركان

وذاك عثمان ثم القوم جلتهم   قد بايعوا بعلي عقد رضوان

لانص فيهم جليا بل قد اجتهدوا   لكن معاوية مخطئ كمروان

واذكر أصحاب رسول الله قاطبة   بالبر والخير واهجر طعن مطعان

وكلهم بذلوا للدين مهجتهم   وللشريعة كانوا خيرأعوان

يارب لا تسلبني حبهم أبدا   من قال آمين يا من سلب الإيمان[٦٦٦]

[٦٦٧]هذه سرقة حسنة بتغيير يسير من بيت قيس مجنون. فإنه لما اشتد أمر قيس مجنون في حب ليلى أشار بعضهم إلى أبيه أن يحج بابنه مجنون إلى بيت الله الحرام، فيتعلقا بستر الكعبة المباركة

---

[٦٦٦] د : ما حضر وجه الربا من قطر نيسان

[٦٦٧] من هنا إلى قوله " وتفصيل هذه المسائل" ليست موجودة في نسخة د وهي آخر كلام مع هذه العبارة : وصلى الله على السيد الأكمل، والنور الأتم الأول، والشفيع المتقدَّم المُكَمَّل، سيد الكل حضرت مولانا وسيدنا، محمد أفضل الرسل، وعلى آله وأصحابه وأولاده وأزواجه وأتباعه وجميع أهل بيته إلى يوم الدين، رضوان الله عليهم أجمعين.
تمت ليلة التروية سنة أربع وتسعين ومائة وألف.
وقع الفراغ من تبييض هذا الشرح على يد الشارح الفقير السيد محمد طاهر ابن السيدالشيخ محمد لاله زاري الإستانبولي مولدا، والحنفي مذهبا، والشاذلي طريقا. وبدأت بتسويد هذا الشرح في قصبة بشكطاش من مضافات قضاء غلطة، وأتممته في تلك القصبة. ثم أردت أن أبيضه فبيضته في دار الخلافة العلمية العثمانية وأتممت بتبييضها فيها في ليلة يوم التروية سنة أربع وتسعين ومائة وألف، الحمد لله رب العالمين.

ويسئلا الله تعالى أن يسلِّيه. فحجا وأخذا بستر الكعبة وقال أبوه للمجنون: "قل اللهم ارحمني من ليلى وحبها" فقال: "اللهم مُنَّ علي بليلى وحبها، فلطمه أبوه فأنشد قيس المجنون فقال:

يا رب إنك ذو مَنٍّ ومَغْفرةٍ بَيِّتْ بعافية ليلى المُحِبّينَا

الذَّاكِرين الهَوَى من بعد ما رَقَدُوا والساقطين على الأيدي المُكِبِينَا

يا رب لا تَسْلُبَني حُبَّها أبدا ويرحم الله عبدا قال آمينا آمين

كذا في حاشية شيخ زاده على البيضاوي قدس الله سرهما.

ودام نضره من بالخير يذكرني ما أحضر وجه الربا من قطر نيسان

تفصيل هذه المسائل في الشروح مبسوط فانظروا أيها الإخوان إليها فإن الشارحين السابقين قد بذلوا جهدهم وحققوا فيها تحقيقا لا مزيد عليه شكر الله تعالى مساعيهم، ونور الله تعالى مراقدهم، وروح الله تعالى أرواحهم، وجعلنا الله تعالى من المقتبسين من انوار فضائلهم والمغترفين من أنهار علومهم وعوارفهم.

ولكني أذكر لك ما سنح لخاطري مما يتعلق بتعريف الصحابي فأقول: قد[٦٦٨] عرَّفوا الصحابي بأنه من رأى النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به. واعترض على هذا التعريف بمن رآه وآمن به عليه السلام ثم ارتد ومات على الارتداد ـ نعوذ بالله تعالى من ذلك وأنت أن هذا المعترض لم يُمعن في هذا التعريف، ولو أمعن لَمَا اعترض عليه. ولعل حقيقةَ المعنِيِّ منه؛ أنه من رأى النبي صلى الله عليه

---

[٦٦٨] ح – قد

وسلم من حيث كونه موصوفا بالنبوة بنور يقذفه الرب في قلب العبد، وذلك النور حقيقة كتب الإيمان في القلب. ولهذا قال المعرف مؤمنا به ولم يقل من رأى النبي عليه السلام وآمن به، وأما من رآه صلى الله عليه وسلم من حيث كونه بشرا ذا شكل وصورة وجسم مشتركا لسائر البشر لا من حيث اتصافه بالنبوة؛ فإنه ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حقيقةً لكونه أعمى القلب.

لذلك قال تعالى {وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون}[٦٦٩]، كما أن الذين سمعوا القرآن وهم لا يجيبون دعوة الله تعالى، فهم إنما سمعوا كلاما عربيا، فصيحا بليغا مشتركا لسائر الكلمات في العربية ولن يسمعوه بآذان قلوبهم؛ إذ لم يُسمعهم الله لعدم الخير فيهم. ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم، فهم في صمم حقيقة بخلاف من سمعه بأن هذا موصوف بأنه أُنزل على الرسول. لذلك قال تعالى في الموافقين الموفَّقِين{وإذا سمعوا ما أُنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق} إذ لم يقل سبحانه "وإذا سمعوا ما قُرِئ عليهم" كما قال في المخالفين {وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون}[٦٧٠] إذ لم يستمعوا القرآن بوصف أنه مُنزل على الرسول بآذان قلوبهم فافهم ذلك. قال الله تعالى {صم بكم عمي فهم لا يعقلون}[٦٧١]، وقال{ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها}[٦٧٢] الآية. فليتأمل فيه تبصرة لأرباب البصائر.

---

[٦٦٩] سورة الأعراف، الآية ١٩٨.

[٦٧٠] سورة الانشقاق، الآية ٢١.

[٦٧١] سورة البقرة، الآية ١٧١.

[٦٧٢] سورة الأعراف، الآية ١٧٩.

حقيقة الصحبة سر مودع في قلب العبد كالمصباح، فكما أن الزيت إذا وضع في الزجاجة ووضعت الفتيلة فيها، وهيئت بحيث يكاد زيتها يضيئ. فإذا أوقدت الفتيلة كانت نورا على نور، كذلك قلب العبد المستعد للصحبة النبوية يكاد يضيئ بالنور المودع فيه، فإذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه، من كانت صفته هذا يسرع إلى التصديق فيعقبه سر الصحبة وذلك السر بكماله وتمامه موقر في صدر الصديق رضي الله عنه ولهذا سماه الله تعالى في كتابه بالصاحب.

اللهم افتح أسماعنا وأبصارنا واذكرنا إذا غفلنا عنك بأحسن مما تذكرنا به إذا ذكرناك، وارحمنا إذا عصيناك بأتم مما ترحمنا به إذا أطعناك، واغفر لنا ذنوبنا ما تقدم منها وما تأخر، وكن لنا ولا تكن علينا وارحمنا في الدارين، واجعلنا من السعداء في الكونين يا أرحم الراحمين. الله، الله الله، وصلى الله على النور الأول، والسيد العليم الأكمل، سيدنا وسيد الكل، حضرة مولانا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أفضل الرسل، وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته وأهل بيته أجمعين،[٦٧٣] وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

تمت التعليقات تنميقا في اليوم الثامن من شهر ربيع الآخر سنة إحدى ومائتين وألف بيد الفقير الشارح غفر الله له ولأبويه ولمن نظر وعامل بالصفح والعفو.

---

[٦٧٣] ح + سبحان ربك رب العزة عما يصفون